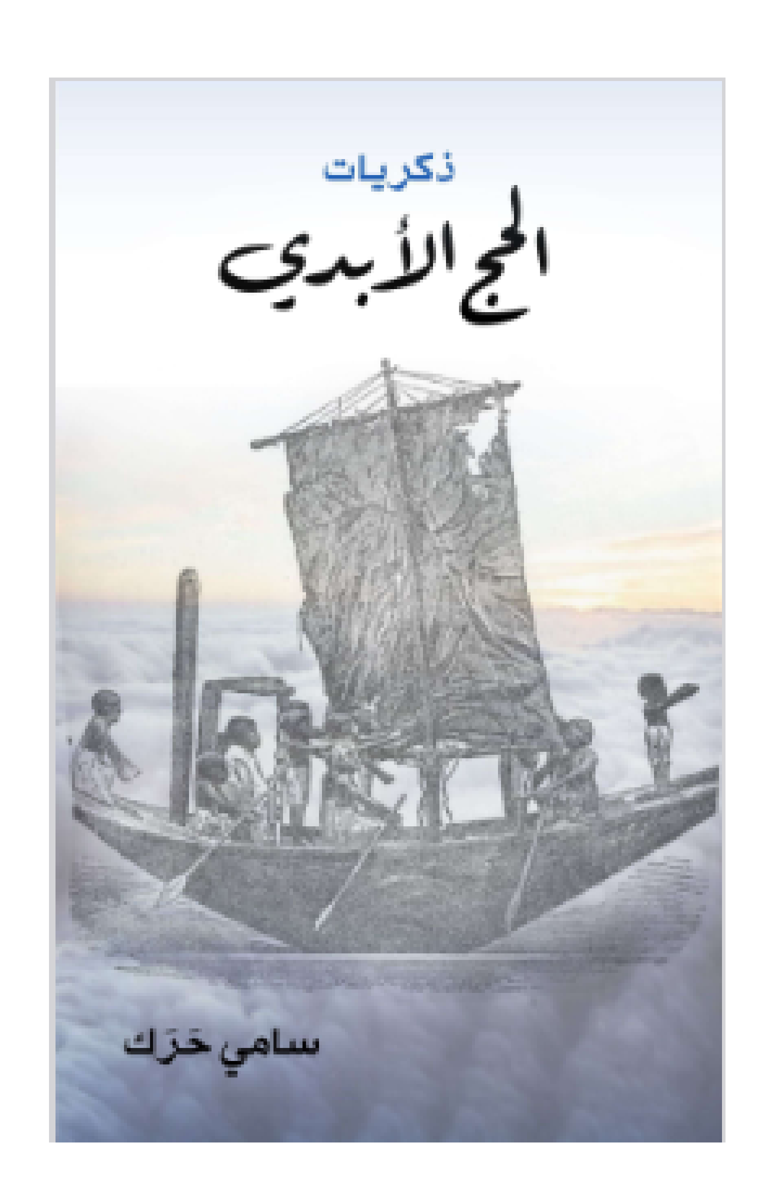
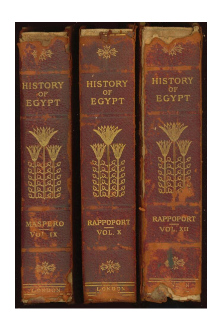


ذكريات
الحج الأبدي
سامي حزك

في شهر كيهك (15 : 28) كنا نؤدي طقوس الحج الأبدي، حيث المقام الشريف, كي نزرع شجرة بجوار مقام رأس أوزير, نحضرها معنا من بلادنا، أو نشتريها من أهالي أبيدو، مدينة الأبد، المدينة المقدسة!



اسم الكتاب: ذكريات الحج الأبدي

المؤلف: سامي حرك Samy Harak

رقم الإيداع: 24925/ 2024

صورة الغلاف: History of Egypt - By Maspero، Volume 1 Part C

تصميم الغلاف والتنسيق: صفا حرك

01286175455 samy7arak@gmail.com

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

صدق الله العظيم

مازال العالم ومازلنا، نزرع الأشجار بجوار المقابر،

ومازالت المشاتل ومحلات بيع الزهور تتخذ مقراتٍ

لعرض منتجاتها بجوار الجبانات.

بدأت تلك المظاهر الطيبة هنا في أبيدوس، حيث
تركت الآثار أدلةً على ذلك منذ الألف الرابعة قبل
الميلاد، حين كانت الجموع تتوجه الى مقام أوزير،
تقطع المسافات وتركب البحور من أجل أن تزرع
شجرة بجوار الضريح، أو أن تضع زهرة يطير شذى
عطرها حول شاهد الرأس الشريف

تلخص الكاتبة المفكرة "أبكار السقاف" تطور العقل البشري في رحلة الحج, بقولها:

"لقد عرف العقل الإنساني أول ما عرف من أراضي مقدسة "أبيدوس"، وعرف فيها بمقام أوزير كعبة إليها يتلهف منه القلب وتجن من جنون العواطف شوقاً إلى رؤية السيد الشهيد!

باب تمهيدي

اشتباك وفض

كنت أستطيع أن أكتفي بعرض خطوات وطقوس الحج الأبدي الى مدينة أبيدوس، زمن المصريين الأقدمين، كما حدث من قبل بإختصار شديد في كتابي "الكنانة" الذي صدر سنة 2014، أو كما كتبت بتفصيل أكثر في الطبعة الثانية من كتابي "الأعياد" 2022، إلا أنني وجدت أن تخصيص كتيب أو ملزمة خاصة بذلك الطقس المهم في حياة المصري القديم، يستدعي الاشتباك مع اتهامات معاصرة، تلك الإتهامات والشكوك التي مازالت حتى اليوم تستهلك قدرًا كبيرًا من الطاقة، في نفس الوقت الذي نحتاج فيه الى التخلص من كل طاقة سلبية وكل مجهود ضائع دون جدوى، ذلك لأن تحديات الحاضر عديدة، وكذلك ما يفرض نفسه أمامنا من عقبات

صعبة في طريق حراسة الهوية الوطنية، التي هي السبيل الى التقدم للمستقبل الواعد، وحتى نستطيع تأمين حياة معقولة ومقبولة للأجيال الجديدة، يجب أن نزيل تلك العقبات الصعبة، ولن نستطيع ذلك إلا بالتخلص من كل ما هو سلبي، بل كل ما يعيق تطلعنا نحو هوية وطنية واضحة!

دراسة التاريخ ليست مجرد رفاهية أو كماليات نستطيع الإستغناء عنها، التاريخ من أساسيات العلوم، بل كل علم له تاريخ يلزم معرفته, مراقبة تطور السلوك والصناعة ليس إلا تاريخ، لأن مراحل التاريخ المختلفة تلك قد نستطيع تخيلها في عدد من النقاط التي نستخدمها في الرسوم البيانية والأمثلة التوضيحية، كل مرحلة من ذلك التاريخ الطويل يمكن أن نفترض أنها نقطة بيانية، حيث اتجاه تلك النقاط هو ما يحدد مسار خطوط حياتنا واتجاهاتنا نحو المستقبل، وكلما كانت تلك النقاط واضحة وعلاماتها مفهومة، كلما

كان بإمكاننا تحديد مواقعنا ورؤية مواضع أقدامنا، كي نلتزم بالمواقف الصحيحة، والرؤى الواضحة، والخطوات الواثقة المستقيمة، بقدر الإمكان!

لذلك .. أحاول الاشتباك في هذا الباب التمهيدي مع عدد من القضايا التي مازالت موجودة وحاضرة تقوم بتشتيت اتجاهاتنا، مطبات وعوائق في الطريق تستنفذ مساحة كبيرة من طاقة وجهد حياتنا الثقافية والتعليمة، وكذلك يتسرب حضورها الثقيل الى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية، لأنه بالفعل وبما لا يدع مجالاً للشك، تأثرت وتتأثر حياتنا سلبًا بمحاولات "شيطنة" رموزنا الثقافية والأثرية، تلك المحاولات التي تتكرر بإلحاح من جهات كثيرة، بواجهات دينية وأغراض سياسية مختلفة، ولا يوجد أي شك في هذا التأثير المُشيطن المدمر، لأننا مازلنا نرى نتائج تلك الشيطنة كالقيود الحديدية التي تقيد حركة السياحة الآن، مع العلم أن السياحة أصبحت من أهم

مقومات الإقتصاد الوطني، لأنها تتصل بأعمال وأقوات الملايين من الأسر المصرية، كذلك نجد أن هذه الشيطنة أصبحت من أهم الأسباب في ترسيخ أساليب الإيذاء وثقافة التميز في معاملة الآخر المختلف، سواء كان ذلك الإختلاف جغرافيًا أو دينيًا أو عرقيًا أو جنسيًا.

ولأن أغلب قضايا الإزدراء والتسفيه لرموز هويتنا الوطنية تلك، هي التي شيطنت تاريخنا وحضارتنا المصرية, فقد سبق وكتبت عنها في كتب ومقالات سابقة، وكذلك أقوم بمناقشتها كل يوم -حسب المتاح- في بوستات وتعليقات الفيس بوك وتويتر، تلك البوستات والكومنتات التي أصبحت جزءًا مهمًا من حياتنا الثقافية، فرضت نفسها في الواقع، وأصبحت أدوات تعبير ونشر تجاوزت كل ما هو ممكن ومتخيل، وتفوقت على الأدوات الثقافية والتعليمية والإعلامية التقليدية، من إذاعة وكتب

ومجلات وجرائد ورقية وغير ذلك، بما يتميز به الإنترنت من سرعة وسهولة التدوين، وإمكانية التفاعل المباشر، والإنتشار المليوني الواسع، بالإضافة إلى الحفظ والتذكر!

كذلك ولأنني أكتب عن هذه القضايا هنا ضمن باب تمهيدي، هامشي جانبي بطبيعته، لذلك سيكون الاشتباك فقط في حدود العناوين، والاقتصار على الخطوط الرئيسية دون الدخول في التفاصيل الدقيقة، ويستطيع القارئ الكريم أن يرجع بنفسه إلى المصادر والكتابات -مني ومن غيري- السابقة واللاحقة!

من هذه القضايا المشيطنة لتاريخنا وثقافتنا، أستطيع التركيز على عدد (5) فقط خمس من الاشتباكات الأساسية، ولأن كل إشتباك منها يستدعي الإنهاء والفض، يعني اقتراح حل، حتى لا نترك القارئ في حيرة، لذلك يتبع كل إشتباك إقتراح عن كيفية

فض الإلتباس أو تصحيح للمغالطة التي تشيطن تاريخنا وثقافتنا وحضارتنا, بل تعتبر مهددة لوجودنا:

الاشتباك الأول: لسنا فراعنة

خطأ تاريخي واحد، بكلمة واحدة، تم بسببها تنسيب واحدة من أعظم حضارات الكون، إن لم تكن بالفعل أعظمها، الى شخصية أسطورية من القصص الديني اسمها "فرعون"، حيث قررت تلك القصص أن شخصًا مجهولاً من التاريخ والآثار كان اسمه فرعون، وكان حاكمًا مفترضًا للدولة المصرية في الزمن القديم، دون أن يحدد النص الديني الكثير عن أصله، إن كان ذلك الحاكم هو شخص مصري من أهل البلد المحكوم، أم أنه كان حاكمًا أجنبيًا استأثر بحكم أم الدنيا غصباً وطغيانًا، مثلما كان الحال في عصور الإحتلال والغزو، أي مثل قورش الفارسي أو الإسكندر المقدوني أو قيصر الروماني أو عمرو العربي

أو سليم العثماني أو بونابرت الفرنساوي أو غيرهم من الحكام الغزاة المغتصبين المحتلين، ثم كان تصوير ذلك الملك أو الحاكم المذكور في قصص الكتب الدينية، باعتباره مثالاً للطغيان والظلم والغرور والإسراف، إضافةً للتكذيب برسل السماء من الأنبياء والمنذرين!

كل هذه الصفات الموصوف بها ذلك الـ "فرعون" والتي قد لا تتجاوز مدة حياته السياسية المفترضة في حكم مصر نحو عشرين أو خمسة وعشرين سنة، هي بالتأكيد قيم سلبية، وعيوب أخلاقية لا شك في ذلك، أما أن ينسبون ويُلحقون بذلك الشخص المعيب في سلوكه وأخلاقه، حضارة كاملة بها ما يزيد عن الخمسمائة وستين ملكًا وملكة، في ثلاثين أسرة خلال نحو ثلاثة آلاف سنة، يسبقهم ألف وخمسمائة سنة تداولت الحكم خلالهم أعداد من أسرات عصر ما قبل الأسرات، كما تسبقهم كلهم عصور السعي الحضاري خلال عشرات الآلاف من السنين، يلغون

كل ذلك، بل يمسحون كل ما تميزت به وقدمته تلك الحضارة الرائدة من خدمات عظيمة للبشرية في كل المجالات، ويدمغونها ويختصرونها ويختزلونها فقط في سلوك ذلك الشخص المزعوم، ثم لا يذكرونها أبدًا وعمدًا إلا مقترنة بأفعاله السيئة، فذلك منتهى الظلم من أعدائنا، وغاية الغفلة منا، وكان ذلك تمام الإخلال بأول شرط من شروط الموضوعية وهو شرط العدالة!

أن تعمم الخاص، وأن تعتبر النادر شائعًا، وأن تصور الشذوذ كأنه حقيقة رائجة، كل ذلك ليس له إسم لدى أي منصف, وفي مفهومي كمحامٍ قضيت حياتي العملية كلها في مجال القانون، إلا بما يمثل فعل التزوير الجنائي، أي أن ذلك ليس إلا فعلاً إجراميًا، قارفه فريق من كُتاب الإسرائيليات المزورين وسار في أعقابهم عددٌ من المُحدثين والمُفسرين وكُتاب السير المُلفقين، ثم تبعهم من تبع بتواتر وتراكم عصور

وفترات من التدهور تولى فيها الأمر والنهي والسلطة والمئآل من يسمعون ويحتفون وينفذون ما يكتبه ويقوله أولئك المزورون المجرمون!

ذلك هو ما حدث بالضبط في قضية شيطنة تاريخ مصر ووصف المصريين بكلمة "الفراعنة"!

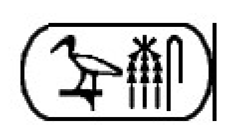
إنهم بالفعل ثلة من عتاة الإجرام في التزوير، تبعهم وقلدهم كثيرون في مؤسسات ثقافية وتعليمية، بل ووصل الأمر -بسبب الغفلة وقلة الوعي- أن أصبح المصريون بذات أنفسهم يتباهون بذلك الفعل الإجرامي



التزويري، بل ويتيهون فخرًا أنهم "فراعنة" أو "فراعين"!

ذلك كله -تلك الشيطنة بوصف الفرعونية- حدث وما زال يحدث، عن فترة خاصة ونادرة وشاذة

منسوبة لتاريخ مصر القديم، بافتراض صحتها التاريخية، بينما المصادر الأثرية -حتى هذه اللحظة- لا تأتِ بأي دليل عن وجود تلك الشخصية في قوائم ملوك مصر (حوالي 561 ملك وملكة)، كما لا تأتِ بأية قرينة عن وجود تلك الوظيفة الملكية المدعاة من ضمن ألقاب ملوك مصر القدماء حتى الأسرة الثلاثين، فقد حُددت وتميزت أسماء وألقاب ملوك المصريين في شكل بيضاوي يعرف بالخراطيش، وحتى نهاية الأسرة الثلاثين لا توجد خرطوشة واحدة بها ذلك الإسم الصريح أو شبيه له بالتصريف، ولا يتبقى من الكتابات التاريخية الملتبسة عن شخصية "فرعون" وأهله وكافة شخصيات قصته، بمن فيهم النبي موسى نفسه، إلا نظرية قديمة تزعم أن تلك القصة بكافة حوادثها وشخصياتها ما هي إلا قصة



هكسوسية، كتب عن بعض أحداثها المزور اليهودي

التاريخي الشهير فلافيوس يوسيفيوس، باعتبار وقوعها أثناء عصر الاستيطان الاحتلالي الهكسوسي!

وذلك يجعلنا نعود لشرط العدالة الذي قلنا انه لو لم يتوفر لما أصبحت القصة موضوعية، إذ كيف تُنسب قصة افتراضية وردت على سبيل العظة والاعتبار (ضمن أحسن القصص حسب الوصف القرآني) وليس باعتبارها حقيقة، حيث لم تثبت تلك القصة لا أثريًا ولا تاريخيًا، ثم يأتي المشيطنون ليقومون بتعميم التاريخ المفترض النادر الشاذ هذا وفرضه على تاريخ علمي واقعي حقيقي، واسع وعريض؟

إن لم يكن وصف المصريين بـ "الفراعنة" هو شيطنة وتزييف لتاريخهم الطويل، فكيف تكون الشيطنة؟ وإن لم تكن تلك الشيطنة تمثل قيدًا يكبل الحاضر ويشوش آفاق المستقبل، فكيف تكون القيود؟

فض الاشتباك الأول: نحن مصريون

إن كانت مقولة أن المصريين فراعنة، هي مقولة خاطئة يُقصد بها شيطنة تاريخ المصريين، ليصبح المصريين فراعنة، أي ظلمة، ويصير التاريخ فرعوني، أي تاريخ الظلم، وتحول الحضارة الإنسانية المبدعة العظيمة الى حضارة فرعونية، أي أنها حضارة ظالمة، فما البديل؟

- البديل أن نقول أننا "مصريون" وكفى!



حيث من ملامح الثقافة المصرية وقواعدها اللغوية الخاصة بها، أن يكون الإنتساب للمهنة وللصفات وللمكان أي للأرض وليس لأسماء الأشخاص!

تستطيع أن تنسب المصريين لوطنهم وأرضهم الطيبة، أي للكيان الصلب الثابت، ولا تنسبهم للشخصيات

الزائلة بطبيعتها مهما علا شأنهم وتقدس إسمهم، أو ارتفعت مكانتهم لأي سبب حقيقي أو مزعوم!

يمكنك أن تقول أننا الكيميتيين أو الجبتيين أو الإيجبتيين أو القبطيين أو التامريين أو الطاويين أو الباقيين .. أو غير ذلك من تصريفات أسماء مصر القديمة، كلها صحيحة، بالإضافة إلى الإسم الحالي "مصر"، الذي هو أيضًا إسم أصلي صحيح، ثابت أثريًا وتاريخيًا، بتصريفٍ لغوي علمي من جذور اللغة المصرية القديمة، سواء من الجذر الذي يُقرأ وينطق إصطلاحيًا "مشر"، ويُقرأ وينطق تصريفيًا "مصر" بمعنى الحصن، أو الجذر "مسو-رع" بمعنى مواليد الشمس، الباقي شاهدًا مخلدًا في إسم شهر "مسرا" آخر شهور السنة المصرية!

ولضمان حدوث وتمام الفائدة، سيكون هذا الفض للاشتباك الأول متصلاً ومكملاً للاشتباك التالي.

الاشتباك الثاني: لسنا حاميين ولا ساميين!

حيلة إسرائيلية خبيثة، انتهجها قدامى كُتّاب الإسرائيليات وبعض المستشرقين لاختلاس رموز حضارات العالم القديم، إذ استثمروا ترويج مظالمهم وبكائياتهم، فنالوا تعاطف بعض الحكام مما أدى لتمكينهم في المراكز الثقافية القديمة وكان أهمها وأعظمها مكتبة الإسكندرية، تحت رعاية المحتل الروماني، بأن دسوا أنوفهم في أوراق تاريخ العالم، لم يكتفوا بإصطناع تاريخ مزعوم لهم من العدم، بل زوروا أيضًا تاريخ العالم القديم بأن دسوا فيه مؤلفاتهم وسلاسل الأنساب الملفقة الخاصة بهم، سواء في كتبهم المباشرة كالتوراة السبعينية أو الكتب المنسوبة لعظماء الكتّاب المصريين، كما هو منسوب من فعل المزور فلافيوس في كتب المؤرخ مانيتون السمنودي، ليظهروا وكأنهم أصل الوجود وحقيقة العالم، ضخموا

وجودهم الضئيل الذي لا يكاد يُرى بعدسات مكبرة في صفحات التاريخ الحقيقي، وأسندوا لأنفسهم أدوارًا كبيرة، على خلاف الواقع والحقيقة، فما اليونان لديهم إلا شخصية توراتية، وكأنهم يقولون لأصحاب الحضارة الإغريقية بأبطالها وشعرائها وفلاسفتها العظماء، أنتم مجرد أحفاد لنا، وكذلك الأمازيغ، تنسبهم تلك الإسرائيليات للمدعو "مازيغ" ابن المدعو "كنعان"، وهكذا يكررون الحيلة مع كل شعوب العالم القديم التي نشأوا على هوامشها وتطفلوا على فضلاتها، إلى أن تفلح حيلتهم الشيطانية تلك ليطمحوا إلى سرقة أنوار الحضارة المصرية بكنوزها الأثرية والمعرفية الكبيرة، بأن قاموا بتأليف شخصية وهمية اسمها "مصرايم"، حيث يزعمون أنه كان إبنًا لشخصية وهمية ثانية إسمها "حام" الذي كان شقيقًا لشخصية وهمية ثالثة اسمها "سام" .. إلخ، فنصبوا أنفسهم وكأنهم مصلحة أحوال الكون وسجلات

مدنية عامة لمواليد الوجود، بينما الأمر لا يتعدى ولم يتعد أبدًا تلك الصفحات التي ألفوها تلفيقًا وانتحالاً وتزويرًا، ثم نشروها وروجوها بدعم مباشر من الإمبراطورية الرومانية التي كان يهمها ومن مصلحتها -في ذلك الوقت- العبث بتاريخ الإمبراطوريات والأمم الأقدم، في محاولة مزدوجة منهم لإحكام السيطرة على شعوب تلك الإمبراطوريات المغلوبة، بمحاولات طمس هوياتها ومحو ثقافاتها الخاصة، وليس ذلك فحسب، بل ونسبتهم جميعًا إلى أمةٍ ضالة وشعبٍ لقيط تائه، لفق لنفسه وللعالم شجرة نسب مزعوم!

لقد أفلحت الحيلة الإسرائيلية في سرقة تاريخ العالم، كما يفلح الطفيل الدودي في التغذية والنمو والتكاثر على حساب العوائل الغافلة المستسلمة، ومازالت تلك الحيلة تؤتي ثمارها، حيث مازالت الكائنات المعيلة تتحمس لذات الطفيل، وها نحن نرى الغرب المعيل الحالي يفرض لصالح تلك الدودة الطفيلية حماية

قانونية وقضائية ودبلوماسية وعسكرية تحت مسميات مختلفة، كالقول بـ "معاداة السامية" أو غير ذلك!



إذًا كفانا نحن من هذه العلاقات المريبة بين الطفيل والعائل، حيث أن تاريخ المصريين الأثري والشعبي، الذي يتميز بكونه الأكثر توثيقًا في تاريخ الوجود، حجريًا وبرديًا، لا يعرف هذه القصص المؤلفة ولا تلك الشخصيات المزعومة، انهم لا يمتون لنا بأي صلة، ولا يجب على مؤسساتنا الأكاديمية أن تردد تلك الإسرائيليات المكذوبة، ولا أن تنخدع بتلك البكائيات والمظلميات الدرامية، التي لا أصل لها من الواقع والتاريخ، بل يجب على المؤسسات الوطنية تنوير الشعب بالحذر من الوقوع في شباكها، والتركيز على ضخ ونشر بدائل ثقافية وطنية، برموزٍ وأبطال ونماذج حقيقة مضيئة

من التاريخ المصري, الغني بهذه النماذج، ثم التوعية بعناصر الهوية الوطنية المصرية وتبرئتها مما قد يلصق بها من تهم وافتراءات باطلة!

فض الاشتباك الثاني: ننتمي للأرض

الإجابة عن حقيقة شجرة الأنساب البشرية هي إجابة مستحيلة، حيث الأجيال البشرية الأولى ما هي إلا كائنات بدائية، ولا يتصور أن تستطيع تلك الشخصيات ولا أن تتمكن من أن تحدد لنفسها أسماء، فقد كان ظهور الأسماء -حين ظهرت- هو معجزة الزمان، ولا حتى أن تتكلم وتتخاطب، إلا منذ ما يقرب من مئة وخمسين ألف سنة حين ظهرت لأول مرة جينات الكلام المعروفة علمياً بإسم المورثة FOXP2، فكيف لتلك الكائنات المسكينة أن تترك تراثًا محكيًا يتناقله الأحفاد خلال مليوني سنة على الأقل، دون أن تستطيع إخراج كلمة واحدة، بل

كان تفاهمها وتواصلها مع بعضها بالإشارات والغمزات واللكزات، وإن خرجت أصواتها فهي محض جعير ونعير وشخير وصريخ وهمهمات؟
إذًا كل ما يُنسب من تسلسل لشخصيات العائلات البشرية أو أشجار النسب هو محض وهم وخيال!
إن كان لابد وأن نقدم إجابة أسطورية عن أصل المصريين، تتوافق مع أقدم الآثار المكتوبة، فلدينا -أيضًا- تراث غني من الحكايات الخيالية الأسطورية، وكلها مزود بأدلة وقرائن أثرية، في حدود تاريخ تلك الأدلة والقرائن، وبالمناسبة تلك الأدلة والقرائن هي الأقدم أثريًا، ثابتة وموثقة وتتباهى بعلومها المتاحف والكليات ودارسي علم المصريات في كل مكان من العالم، عن نظريات خلق الكون، التي ملخصها أن البشر هم نتاج تفاعل مياه المحيط الأزلي المسمى (نون)، مع حرارة الشمس "رع"، بواسطة حركة الهواء "شو" وعذوبة قطرات الندى "تفنوت"، ثم

أدت تلك التفاعلات مع العناصر جميعها الى تزاوج الأرض "جب" من السماء "جبت"، التي أصبحت الأم السماوية "أمات"، ومن إسمها إشتُق وتصرف لفظ ومعنى "الأم"!

من تلك الخلطة الطبيعية ظهر إنتاج أول المواليد بصفات بشرية, أولئك الـ "نترو" الذين سكنوا أرض مصر، وهم:

"أوزير" و"سوت" و"است" و"نبت-حوت"، ثم تلاهم النذير "حور" بأبنائه وفروعه, ومنهم كل أمم الأرض!

قد تكون أساطيرنا تلك هي مجرد أساطير، إنما حكاياتها مكتوبة وموثقة، أي ظهرت وكُتبت وسُجلت وعرفها وتناقلها العالم القديم مدونة ومسجلة حجرياً وبردياً قبل تلفيق تلك الإسرائيليات المكتوبة بعد ذلك بثلاثة آلاف سنة على الأقل!

وبالمصادفة هي حكايات وأساطيرُ قد يؤيد العلم الحديث مضمونها، وحتى لو لم يصادفها ذلك التأييد،

تبقى هي أساطيرنا وحواديتنا وحكاياتنا، بل هي أوهامنا وأحلامنا الخاصة، ولا حاجة لنا ويجب أن لا تكون لدينا أية رغبة في انتحال أو إستيراد أوهام وأضغاث أحلام الآخرين!

الاشتباك الثالث: لسنا كفارًا!

يتهمون قدماء المصريين بالكفر، بينما جدران البرابي والمقابر ولفافات البردي ما زالت شاهدة تحوي نصوصًا إيمانية وأشعارًا تهجدية صوفية، بها دعوات وابتهالات ومناشدات وصلوات وأفكارًا إيمانية مضمونها الشكر والحمد على عطايا وموجودات الطبيعة، تمجد الخالق العظيم وتؤسس علاقة وجدانية ربانية صارت هي الأساس لكل ما تلاها من نصوص الأديان وأفكار العقائد المختلفة!

وقد كتب جيمس هنري بريستد في فجر الضمير:

"وإننا نجد الإعتقاد بوجود إله يهب الحياة للطيب، ويقدر الفناء للخبيث، وارداً في المسرحية المنفية، التي كتبت في منتصف الألف الرابع، قبل الميلاد، أما فكرة المحاكمة في الحياة الآخرة، وقد أخذت تتحدد بوضوح مطرد امتد إلى ما بعد عام 3000 ق.م، فلم تكن الفكرة في أقدم أشكالها تفترض حضور جميع الناس أمام المحكمة، إنما افترضت محكمة عدالة كالتي توجد على وجه الأرض يحضر أمامها الأفراد لإصلاح الخطأ"

- يتهمون أجدادنا بالكفر؟ فما الكفر؟

الكفر هو مصطلح إسلامي، معناه عدم الإيمان بمبادئ الدين الإسلامي، وذلك بتكذيب ما جاءت به نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية!

أي أن الكفر هو التكذيب، وعناصره ثلاثة:

"كذب" و"مكذب" و"مكذوب"

الكذب، هو القول أو الفعل المناقض أو المغاير

والمكذب، هو القائل أو الفاعل لتلك الكذبة

والمكذوب، هو من صدرت بحقه تلك الكذبة

ألا يستدعي التكذيب بشيء أن يكون المكذب -على الأقل- معاصرًا للمكذب به أو لاحقًا مباشرًا له، وعلى العموم فإننا لا ننتظر أن يكون الكاذب منصفًا عادلاً، فضلاً عن أن يكون وفيًا بارًا شاكرًا؟

سبقت الحضارة المصرية الكتب الإبراهيمية كلها (التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ورسائل الحكمة والأقدس والتذكرة) بآلاف السنين، فكيف يُكذب السابقين اللاحقين؟ نعم، كيف يُكذب المصري القديم شيئًا لم يره ولم يسمع عنه أبدا؟

إن وصف الإبراهيميين اللاحقين واتهامهم للمصريين القدماء بالكفر إذًا هو وصف خارج عن سياق الموضوعية، إذ كيف أُكذب بشئ لم أعرفه ولم أعاصره ولم يأت زمانه بعد؟

إن القول بأن قدماء المصريين هم كفار، لأنهم لم يصدقوا برسالات وكتب الأنبياء المرسلين موسى وداوود وعيسى ومحمد والدرزي وبهاء الله وميرزا

غلام، هو كالقول بأنهم كفار لأنهم لم يصدقوا بأنه سيأتي زمان يكون التحقق فيه من أي معلومة بعدد من الدقات البسيطة على حروف آلةٍ إسمها الكيبورد، بواسطة موسوعة فضائية اسمها جوجل!

بالفعل إن الإدعاء بأن الملك تحتمس الثالث لم يكن يهوديًا أو مسيحيًا أو مسلمًا أو درزيًا أو بهائيًا أو قاديانيًا، هو بالضبط كالقول بأنه لم يمتلك حسابًا على الفيس بوك، الملك تحتمس الثالث لم يعاصر لا اليهودية ولا المسيحية ولا الإسلام ولا تويتر ولا الفيس بوك، وبالتالي فإن وصف ذلك الملك العظيم بالكافر، ونعته بصفات المكذب بالأديان، وصف ونعت متعسف، افتراضيًا وتوهميًا، ليس صحيحًا، ولا محل له، ولا يمكن تصوره بالفهم الطبيعي إلا ضمن مظاهر خصومة اللدد بما تحتويه من غل وأحقاد دفينة، بل الحسد والغيرة الشديدة من حضارة ملأ نورها الوجود!

فض الاشتباك الثالث: ربوبيون أحديون

er, err, a sign of the comparative: e.g., stronger than the gods; thy voice is shriller than that of the tcheru bird; thou hast created more than all the gods; more splendid, more beautiful.

المصري القديم كان يؤمن بالقوة الكونية الخفية، وتصورها تدير الكون وتنظم أموره، أي أنه كان مؤمنًا بالرب العظيم القادر، وأعطى لذلك الرب إسمًا هو بالنطق الإصطلاحي: "إر"، وهو بالنطق التصريفي: "إل"، كما أعطاه نفس الإسم بالتضعيف: "إرر"، أو "إلل"، ومنه جاء تصريف الاسم في اللغة الآرامية وتابعتها اللغة السريانية "ئيل"، ثم ما تفرع عنهم من لغات كالعبرية والنبطية العربية، كما في "اسماعيل" و"جبرائيل" و"ميكائيل" .. لخ، أي أنك يمكنك أن تقرر بكل قوة وتدافع عن جدك المصري القديم، أنه كان في ثقافته

القديمة، عالمًا مؤمنًا بالرب الواحد القادر العظيم، بل وبنفس الإسم في تصاريفه المعروفة للثقافة السائدة الآن: "إيل" "إللاه" "الله"!

هذا هو المقصود بمقولة أن المصريين ربوبيون، أي مؤمنون بالرب معتقدون في وجوده وقدرته!

إن كان المصريون ربوبيين، فيمكن أن نضيف أيضًا بأنهم "أحديين"، أي متوحدون مع الرب، بإعتبار الإنسان تجسيد لإرادة ربه، ينفذ مشيئته بذاته!

حيث يجسد هذه الأحدية مقولة ابن عربي:

"إن وحي الله في كل كائن"

أو المقولة المنسوبة لـ علي ابن أبي طالب:

"وتحسب أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر"

كما تُلخص الأحدية مقولة الحلاج:

"ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه"

هكذا أو قريب من ذلك كانت عقيدة المصري القديم الإيمانية، هي عقيدة ربوبية أحدية، يطمح فيها

المصري أن تؤول حياته للعودة الى ما كان من سلوك إلهي قبل سعيه على الأرض، يطمح بالعمل الصالح الى التوحد الكامل مع الرب في عليائه ليعيش حياته الأزلية في عالم الخلود.

ومن هنا يكون فهم العبارات الواردة بكثرة في نصوص كتاب طلوع النهار "برت-م-هرو"، والذي يظنها البعض مجرد "برطمة"، بينما هي آياتٍ بيناتٍ، يحاول الميت عن طريق ترديدها (بالتلقين) أن يتقمص صفات الرب العظيم المتجسدة من خلال وعبر صفات أعوانه النترو المنذرين:

- أنا "تحوتى" ساعة الحساب والميزان
- أنا "نيت" راعية النساجين.
- أنا "بتاح" مبدع الخلق، وداعم الحرفيين.
- أنا "است" حامية المصريين.
- أنا "سوت"، قاهر أعداء النور.
- أنا "أنبو" حارس أسرار الجبانة.

- أنا "وزير" فالح الأرض، زارع النبات.
- أنا "حور" الابن البار الحارس لمملكة أبيه.
- أنا الرب العظيم في قاربه.

هكذا صراحة كان المصري القديم يرى نفسه صالحاً حين يتصف بكل صفة من الصفات الربانية المقدسة، الصفات المجسدة في رموز أعوان ونذر الرب القادر العظيم، ثم وبلا أي مواربة يرى المصري نفسه متوحدًا مع صفات الرب العظيم:

"انك-نتر-عا" = أنا الرب العظيم

الاشتباك الرابع: لسنا وثنيين

الوثن في ثقافة الأديان الإبراهيمية هو التمثال المُجسد لشكل وصفات الآلهة!

وبالتالي يكون الوثنيون هم عبدة تلك التماثيل، حسب قصة أبو الأنبياء إبراهيم وأبيه آزر صانع التماثيل، حيث يُفترض أن الشاب إبراهيم -وفق القصة

الدينية- رأى وعايش مهنة صناعة التماثيل، ثم رفض عقله فكرة أن تعبد شيئًا أنت صانعه، بينما تستطيع تعديله وإصلاحه أو تحطيمه كما هي خاتمة تلك القصة المقدسة المكتوبة كتراث أساسي ومبدأي في كتب الديانات الإبراهيمية جميعها!

بل كانت هذه الأفكار هي نتاج للبيئة التي تحكيها الكتب المقدسة في تلك الديانات الإبراهيمية عن مجتمع معين نشأ وتربى فيه إبراهيم (بين النهرين)، بينما الشئ العجيب المريب أن بعض نصوصٍ من نفس تلك الكتب (العهد القديم) ذكرت رحلة الخليل إبراهام لجوءًا إلى مصر بسبب مجاعة حلت وقحط ساد في أرجاء بلاده، حيث جاء الى مصر وأقام واختلط وتعلم فيها من حكمة المصريين، ويحدث عجبًا، أن لم تأتِ تلك النصوص المقدسة بثمة رفض أو مجرد تعليق على ما كان من تماثيل المصريين، التي كانت وقتذاك -والى الآن- تملأ أركان الدولة المصرية ممثلة للملوك

والقادة العظام بل وكذلك الرموز الدينية والإجتماعية، بأشكال مختلفة بشرية وحيوانية!

فما الذي جعل إبراهيم، والأدق ما الذي جعل النصوص المكتوبة المنسوبة إليه، التي دونت هذه القصة، تجعل من النبي إبراهيم يشن حربًا ضروسًا ورفضًا واستهجانًا للتماثيل في العراق، حين يصفها وصف النفور من السوء بأنها أصنام وأوثان، بينما لم يحدث ذلك الرفض أو الإستهجان أو النفور بخصوص تماثيل المصريين؟ لم يحدث الرفض لما في مصر من تماثيل في زمن كتابة النصوص الإسرائيلية، منسوبًا لإبراهيم أو يوسف أو يعقوب أو موسى، ولا زمن المسيح عيسى وأمه العذراء مريم، حين لجأوا لمصر وتجولوا في أرجاء شتى من مناحيها، حسب تلك النصوص الدينية نفسها, والأعجب أن رفض التماثيل (واعتبارها أصنام وأوثان وغير ذلك) لم يحدث كذلك في زمن صحابة رسول الإسلام محمد ابن عبد



الله، حيث أقام المئات منهم وصاحبوا عمرو ابن العاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن أبي بكر وغيرهم، حتى أن أكثر من مائتين منهم (الصحابة) قد أقاموا ثم ماتوا ودفنوا في ترابها، وما زالت شواهد قبورهم دالة على آثار وجودهم وطوافهم في أنحاء مصر؟ فما الذي اكتشفه الآن أولئك المتعصبون الوهابيون السلفيون الداعشيون وقد غاب عن إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى وصحابة محمد وتابعيه الأولين؟

أبدًا لم يعبد المصريين التماثيل، إذ كانت تلك التماثيل ضرورة وجودية ملائمة لزمانها ضمن منظومة ميديا ووسائل نشر المعلومات والقيم بالطرق الأولية القديمة، صنعوها لتسجيل وحفظ المعلومات، للتذكير وتواصل العلاقة بين أفراد المجتمع، بل بين الأموات والأحياء،

فقد عرف القدماء أسماء للروح التي آمنوا أنها تبقى حية بعد الوفاة والدفن في الجبانات:

1- "كا" وهي النفس، الروح التي صاحبت الإنسان في حياته، ويتم تجسيدها عن طريق التماثيل والصور المرسومة في البرديات وعلى جدران المقابر والأهرامات، برمز كتابي هيروجليفي يصور يدين مجردتين مرفوعتين.



2- "با" وهي الروح عقب مغادرتها المباشرة للجثة، وتجسدها أشكال الطيور، وفيها تتحول الأرواح المغادرة الى طيور محلقة تصاحب وتشارك وتتفاعل مع أحبائها من الأحياء، لكن في عليائها!

أي أن التماثيل هي مجرد ذكرى لنفس الإنسان والمقدس، كما هي الصور الفوتوغرافية والفيديوهات في زمننا الحالي، ولم تكن تُعبد، لسبب أبسط كثيرًا،

أن المصري القديم لم يعرف تلك الثقافة التعبدية التي نعرفها الآن، والتي وردت الينا حصريًا من خلال مفسري الأديان الإبراهيمية، الذين لخصوا العلاقة بين الإنسان والرب في صورة "عابد" و"معبود"، بينما الأمر عند المصريين لم يكن كذلك أبدًا، فقد كانت علاقة احترام للواقع الطبيعي، علاقة ذاتية بين كل إنسان وغايته أو هدفه من الوجود، علاقة بين الإنسان وخلاصه الخاص به، حيث رأوا أنفسهم -كما سبق القول- ربوبيين أحديين، يسعون إلى الأعمال الصالحات من خلال تجسيد صفات الرب أو التوحد في صفاته، وكانت طقوس عقيدته تتلخص في إبداع وإبتكار صلوات وتراتيل وابتهالات وأناشيد، كلها حمد وشكر للنعم الكثيرة التي يتمتع بها الإنسان، صلوات كلها حب ورجاء بلا مهانة أو تذلل، لا تخويف ولا ترهيب، كأنها مناجاة بين أحبة يعرف كل منهم قدر الآخر، أغاني يتغنى بها

ويتواصل من خلالها، يراها في نفسه، بل ويتقمص عن طريقها، صفات تلك القوى الخفية القادرة التي تدبر أموره وأمور الكون!

فض الاشتباك الرابع: صوفيون

قام المفكر والفقيه والفيلسوف الكبير أبو الفيض الملقب بـ "ذو النون المصري"، المولود في أخميم 796م والمتوفي في الجيزة 859م، بتدشين مصطلح "الصوفية"، حسب ما ورد في رسالة القشيري:

"أن ذا النون المصري هو أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وهو من وضع تعريفات الوجد والسماع والمقامات والأحوال"

كما إنه أبدع الكثير غير ذلك من مصطلحات الصوفية، بل إنه أول من عرّف تلك الأحوال جميعها بالمصطلح المعروف الآن "الصوفية"، ترجمة للمقصود

بمعنى "الإحسان" الوارد في القرآن الكريم مرات عديدة، وبأكثر من صيغة منها:

"لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ"

لم يظهر مصطلح الصوفية للوجود قبل تدوينه في مؤلفات ذا النون، والأرجح أنه استعاره مباشرة من اللغة المصرية التي يبدو أنه كان يتقن قراءة حروفها، بل ألّف كتابًا حول ذلك أسماه: «**حل الرموز وبرء الأرقام في كشف أصول اللغات والأقلام**».

sefu, , mild or patient man, gracious; plur. , the meek.

حيث من اللغة المصرية نرى الجذر "صفي/ صفو" = اللطافة/ الرحمة، ونرى ذات الجذر بمخصص آخر = الإحسان/ الحكمة، كما يأتي في مقام ثالث بمعنى = الوصول/ الإندماج، وهكذا تترجم تلك المعاني قيمة

وأحوال الصوفية كما صاغها المؤسس العالم العلامة ذو النون المصري!

إن المصريين **ربوبيون أحديون صوفيون**، يتمثلون الرحمة والحكمة والإحسان في حياتهم، يتمنون الوصول الى المقام المثالي الربوبي الذي يرجون إندماجهم فيه من خلال تتبع صفات وأحوال الذات المقدسة الواحدة!

لقد جسد المصريون خلاصة معتقداتهم الإيمانية في الصوفية، فصاحبتهم تلك المفاهيم حين إعتقد بعضهم في الديانة المسيحية، ليصيغوا منها ديانة مسيحية مصرية (صوفية)، وكذلك حين اعتقد بعضهم في الديانة الإسلامية، ليصيغوا ديانة إسلامية مصرية (صوفية)، وكذلك صاحبتهم عقيدتهم الإيمانية تلك مع تقلب وتنوع معتقداتهم الدينية والإجتماعية، صاحبتهم في طرق صوفية خاصة، كما صاحبتهم في كل حال!

إذن، لقد صنع المصريون حضارتهم اعتمادًا على عقيدتهم الإيمانية الربوبية الأحدية الصوفية!

حيث وفرت عقيدة المصريين تلك تجانسًا للمجتمع تشهد عليه الدراسات الأثرية لأحوال المجتمع المصري القديم، كما تؤكده الأبحاث الحديثة من تجانس المصريين الحاليين، رغم اختلاف معتقداتهم الدينية والثقافية، تجانسًا تذوب معه الفوارق العرقية والطبقية، ولا يوجد ثمة تفسير معقول لذلك إلا ما هو حاصل من اتحاد التجارب والمفاهيم الاجتماعية المتوارثة في النظام والتعاون والتكافل والرفق والإحترام، بل الحب نحو بعضهم البعض ونحو مجتمعاتهم ووطنهم الواحد!

حققت عقيدة المصريين لآلاف السنين ما تصبو إليه المجتمعات المتماسكة المتجانسة من احترام النظام

وضمان استقراره، ثم ورثت الأديان الجديدة تلك العقيدة المصرية، إذ أصبح الدين -مسيحيًا أو إسلاميًا أو غير ذلك- واجهةً إجتماعية للفرد، أكثر من أي شئ آخر، وذلك يفسر إتجاه المصريين لإظهار تدينهم، كما ألمح لذلك المؤرخ اليوناني "هيرودوت" في وصفه للمصريين بأنهم "أكثر أهل الأرض تقى (تدين)"، فالحاجة الإجتماعية لتحديد وبيان الهوية الدينية تبدو بوضوح عند المسيحيين المصريين وكذلك هي عند المسلمين المصريين، بالمجاهرة بالشعائر وإظهار الطقوس والرموز الدينية، وليس ذلك كله -في رأيي- إلا لحيازة القبول الإجتماعي، والحرص على نوله، فتلك غاية عظيمة وهدف نبيل لكل مصري!

حيث طور المسيحيون المصريين علامة العنخ المصرية القديمة، رمز الخروج للحياة، ذلك أن علامة العنخ هي تجريد لشكل الرحم الذي ينتج الحياة، لتصبح

هي علامة الصليب الذي يعني أيضًا استمرار الحياة عن طريق الفداء والتضحية ولو بالموت!

كما استعار المسلمون المصريون فكرة المئذنة للجامع من شكل المسلة، التي كانت ترافق البرابي للإعلان عن مواقعها، فأصبحت المآذن تعلو وترافق مباني الجوامع للإعلان عن الصلوات، حيث قام المصريون ببناء أربع مآذن لجامع عمرو ابن العاص، ثم أصبح ذلك تقليدًا عامًا فيما يعرف الآن بالعالم الإسلامي!

الاشتباك الخامس: ليسوا آلهة



هذه الشيطنة المتعمدة بالقول المزعوم من أن المصريين متعددي الآلهة، روجها أعوان أعداء حضارة وتاريخ المصريين، بترجمات خاطئة لمعنى المقدس في اللغة المصرية

المقابل لكلمة: "نثر/ نتر"، بأن حصروا ترجمة معناها عند مفهوم معنى الإله في معارفهم باللغات الأوربية، كما في اللغة الإنجليزية، أي كلمة: God وكما في اللغة الألمانية، أي كلمة: Gott وكما في اللغة الفرنسية، أي كلمة: Dieu

إذ افترضوا أن الأسماء المقدسة في مصر القديمة للكيانات المسماة "رع" و"أتم" و"نوت" و"آمن" و"مين" و"أوزير" و"است" و"نيت" و"عنقت" و"بتاح" و"غنوم" .. الخ، يُعبر عنهم بكلمة واحدة هي: "نثر/ نتر" وجمعها "نثرو/ نترو"، حين حسبوا أو افترضوا أن تلك الكيانات المقدسة مثلها مثل تلك الآلهة والأرباب المتعددة لدى العراق واليونان والرومان بينما الواقع أن لكل حضارة أحوال تخص ظروف نشأتها وأسباب بقائها ونموها واستمرارها!

لقد اجتهد كثير من الكتّاب والباحثين في سبيل التحرر من تلك الترجمة غير الدقيقة، أذكر منهم

الأثري الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف، أول كاتب مصري تنبه الى خطأ استخدام كلمة "فرعون" للتعبير عن الوظيفة الملكية المصرية، وبخاصة في كتابه الرائد: "مصر بين القرآن والسنة"، وكذلك صديقنا الراحل المجتهد الطبيب نديم السيار الذي أصدر كتابًا بعنوان:

"ليسوا آلهة، ولكن ملائكة"

اجتهد أحمد عبد الحميد يوسف وكذلك نديم السيار وفي نفس الدرب خرج كتاب صديقنا المهندس عاطف عزت "فرعون من قوم موسى"، وكذلك اجتهد عدد آخر من كتاب علم المصريات، للخلاص من تبعات الترجمة الخاطئة لكلمة "نثر/ نتر"، حيث انتهت تلك الأبحاث إلى أن كل كيان من تلك الكيانات الخاصة كان يحمل صفات خارقة تُكمل صفات الآخرين، بينما كان المصري القديم يتوجه بإبتهالاته مباشرة للقوة الواحدة، والرب الواحد الأحد، جامع الصفات، الذي أنتهيت الى أن أصله

من الجذر اللغوي "إر" أو "إل" أو "إلل" كما سبق الإشارة والذكر!

فض الاشتباك الخامس: نُظار ونُذر ونُصار!

تطورت محاولات المجتهدين بقصد الفكاك من دائرة الشيطنة لعقيدة المصري القديم التي تتهمه بتعدد الآلهة، لتصل تلك الترجمات الى معاني الأولياء والقديسين والأقطاب كما في الصوفية، إلى أن وَجدتُ أن تصريف الجدر اللغوي المصري بمعنى المقدس NṯR يمكن نطقه بالتصريف:

1- "نظر" ومنه مهنة الناظر وهي وظيفة رقابية إشرافية، ونذكر ما كان في العهد القريب من تسمية الوزارات بالنظارات، فيبدو من ذلك الإجتهاد في النطق، أن "وزير" ناظر الحقانية ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، وأن "تحوتي" ناظراً للمعارف، وأن "سوتي" ناظراً للحربية، وأن "حور" رئيسًا لمجلس

النظار، وأن النترة "است" رئيسة (ناظرة) الديوان الملكي، وهكذا يمكن تسكين الوظائف التي تحدد أدوار تلك الكائنات المقدسة.

2- كذلك يمكن نطقه بالتصريف "نذر" ومنه "النذير" وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، كما تحددها الآية 56 من سورة الكهف في القرآن الكريم:

(وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)

3- كما يمكن تصريف نطقه بحرف الصاد "نصر"، ولما لا؟ فالنصر شعور معنوي له مظاهر محسوسة، وكذلك تلك الشخصيات النورانية، التي خاطبت وعي المصريين كأنصار للقوة العظمى التي تحكم الوجود، مناصرين للحق ومقيمين العدل وناشرين للجمال، وعلى النحو الذي رسمه التعبير القرآني:

(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)

وجدت أن التعامل مع هذه الكائنات المقدسة وفهم مهامها في حدود دوائر معانٍ واسعة، تشمل ذلك

النطق التصريفي: (نظير/ نذير/ نصير)، وتلك المهمات التي يؤدي إليها التصريف اللغوي تكون أنسب لبيان حقيقة وجودهم وأدوارهم في حياة المصري القديم، خاصة وقد أكّدَت إعادة قراءة النصوص الخاصة بهم صحة ذلك الإتجاه من الترجمة، كما أنها تُنهي مهزلة الترجمات الخاطئة، التي صورتها عبادة للأشخاص والحيوانات وتعدد آلهة، حيث أتت هذه الترجمات والإيحاءات الموجهة والمقصودة ضمن موجات شيطنة تاريخ وهوية المصريين!

قصة التأسيس

لكل منتج جديد قصة، تحكي كيف ولماذا ظهر ذلك المنتج الجديد، وهذه القصة تكون دائمًا هي معيار ودليل ثبوت نسبة المنتج الى صاحبه، أي صاحب الحق في علامة وبراءة الإختراع، إن جاز القول!

إن ظهور الطائرات في ألمانيا وفرنسا وانجلترا متزامنًا خلال شهور أو ثلاث سنوات على الأكثر، لن يعطي لأيًا منهم الفضل في القيام بأول تجربة طيران ناجحة بدون قصة الأخوين رايت التي توضح انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بهذا السبق وذلك الفضل!

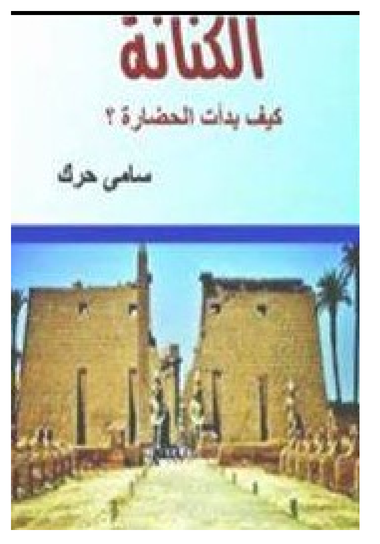
كذلك العثور على آثار نخارية وحجرية وعاجية تصحبها مظاهر حضارية بافتراض تزامنها في بلاد نهرين، العراق وفي مصر، لا يمثل دليلاً مستقلاً للسبق الحضاري في أي منهما بدون القصة المنطقية والتسلسل التطوري الطبيعي، حيث لظهور الحضارة في مصر القديمة قصة تجعلها متفردة بهذا السبق، بل توضح تلك القصة أن المظاهر الحضارية لم تكن لتبدأ في أي مكان على وجه الأرض قبل أن يتحقق ذلك في مصر، بسبب التسلسل الذي يوضح خصوصية أرضها المكنونة!

لم تتأسس مصر فقط من عصر "توحيد القطرين" سنة 3200 ق.م، كما قد يتوارد الى ذهن بعضنا نتيجة قلة معلوماتهم عن الحضارة المصرية، ونتيجة أساطير علمية عن السبق في الحضارة بقرينة السبق في اختراع حروف الكتابة، بينما الأبحاث المتوالية أسقطت كثير من تلك الأساطير الأكاديمية، خاصة بعد أبحاث دراير عن عاجيات أبيدوس التي أثبتت وجود كلمات وجمل كاملة مكتوبة من اللغة المصرية القديمة سابقة لمسماريات العراق بمئات السنين، وكذلك نقوش لأبجدية كاملة في وادي الهول بالصحراء الشرقية، مسجلة كأقدم أبجدية في التاريخ في موسوعة جينيس، كل هذا وغيره أصبح معروفًا وثابتُا في الدوائر الأكاديمية، ولن يلبث إلا وينتشر ويتأكد من معرفته الهواة والمهتمين في كل مكان، رغم كل ذلك فقد سبق التوحيد النارمري (نسبة للملك نعرمر) محاولتي توحيد في فترات مختلفة، كما سبق

محاولات تأسيس الدولة، آلاف السنين من الوجود في أشكال متعددة -لم تمر أبدًا بشكل القبيلة- فقد تطورت من مؤسسة الأسرة الى مؤسسة القرية ثم مؤسسة المدينة حتى وصل المصري القديم للتفكير في إنشاء كيان مؤسسي أكبر وأشمل، ألا وهو الدولة!

وإليكم ملخص تلك القصة -قصة الحضارة المصرية- التي قمت بنشرها سنة 2014 في كتاب بعنوان:

"الكنانة: كيف بدأت الحضارة؟"



... لم يعرف الإنسان الاستقرار الطويل الآمن إلا في مصر، فقد آلت الطبيعة منذ نحو 35 ألف سنة في أقصى الشمال الشرقي لقارة أفريقيا عن واحة طولية، معتدلة المناخ، بأمان نسبي بعيدًا عن الكوارث، يتوسطها نهر كبير دافق، تحميه أسوار طبيعية من الشرق والغرب بسلاسل جبلية

ممتدة من الجنوب إلى الشمال، يلي كل منها مساحات صحراوية شاسعة في الشرق والغرب، حيث الواحة المُغلقة المحروسة وإسمها "كمت"، أي أرض الغرين/ السوداء/ الطينية، وفَّرَت لسكانها (القادمين من أعماق وشمال أفريقيا وغير ذلك) إكتفاءً ذاتياً من الماء والغذاء، والحفظ من الأذى لآلاف السنين، بتأمينها نظام دائم ثابت لإنتاج الطعام، يقوم على الصيد من شواطئ وأسماك النهر وإستئناس حيواناته وزراعة المحاصيل، وجملةً:

السكن الهانئ على ضفتي النهر العظيم!

على شطآن حابي السعيد تشابكت أوراق وأغصان الشجر، وكستها الأعشاب والنباتات، فأكل الإنسان وكذلك الطير والحيوان، وارتوى وشبع، فقد وفرت تلك الأرض للإنسان الأول مكاناً مثالياً.

موقع وتضاريس وطقس، طعام وشراب، مسكن وملبس، أمن وسكينة، فاستقر هانئًا حيث توفرت له كل إحتياجاته، بأقل جهد ممكن، كما لو كانت هي الجنة!

من اللغة المصرية الجذر اللغوي:

"جنو" = أغصان/ فروع الأشجار المتشابكة.

ومن ذلك الجذر اللغوي نقول في اللغة المصرية الحديثة: "جنينة"، بكسر الجيم والنون.

ويبدو أن "جنو" من اللغة المصرية، هي أيضًا الجذر اللغوي لكلمة: "الجنة" في اللغة العربية.

شرح عالم المصريات "جيمس هنري بريستيد" في "فجر الضمير"، تلك الخصوصية المكانية المناخية المؤدية لنشأة الحضارة في مصر بقوله:

" كان منتصف زمن العصر الحجري القديم بداية إنحسار العصر المطير، وفي أثره حل الجفاف، فتحولت هضبة شمال أفريقيا الخصبة تلك إلى بيداء شاسعة نسميها الآن "الصحراء الكبرى"، وكانت العوامل الجيولوجية آخذة في إعداد موطن جديد لصيادي العصر الحجري في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، حيث ممر خصب مستوٍ زاخر بالأعشاب النضرة وحيوانات أفريقيا الداخلية، مما وفر لصيادي ذلك العصر (في المحيط الجغرافي) مأوى لا تنفذ موارده في موقع لا مثيل له من الأمن والحماية من الدخلاء المغيرين".

"وقد أقام الجفاف في النهاية حول "جنة الصياد" هذه حاجزًا منيعًا من الصحراء لا يمكن إختراقه في ثلاثة جوانب من

حدود مصر، في الشرق والغرب والجنوب، وبذلك تحول وادي النيل إلى "معمل إجتماعي" ("مشتل" "حضَّانة" "كِمَانة")، منعزل أمين لا مثيل له في سائر بقاع العالم".

"تمتع وادي النيل بميزات طبيعية فريدة من نوعها، فقد كان منعزلاً ومحمياً بشكل جعل التطور البشري فيه سهلاً، دام ذلك التطور رغم بعض الغزوات الأجنبية المتأخرة، وظل مستمراً لآلاف السنين دون أي عائق جدي".

كما إعتبرها الجغرافي الكبير جمال حمدان "مشتل"، حال وصفه لما أسماه عبقرية المكان، بقوله:

"حين كانت مصر مشتلاً ممتازًا لتأصيل حضارة مبكرة سباقة، مادتها الخام هي فيض الثروة الفيضية، وصوبتها الزجاجية التي تحمي طفولتها هي الغلاف الصحراوي، فالعزلة النسبية كانت لازمة في المراحل الأولى لضمان الطمأنينة والإستمرار حتى تنضج البادرة بعد أن تجرثمت، وحتى تتحول في النهاية إلى عود صلب، لقد كان ظهور الحضارة هنا، خطة عامدة متعمدة".

يقول علماء البيولوجيا أن أهم جينات المهارة الإنسانية تطورت في المشتل المعزول (الكمَانة) المصري خلال تلك الفترة، نتيجة الاستقرار الآمن المطمئن لأول مرة في حياة الإنسان، فقد

نشأت الحضارة من علاقات متكررة، متوافقة غالباً، متعارضة في بعض الأحيان، تطورت تلك العلاقات إلى قواعد سلوكية وقوانين، ليكون ذلك كما عبر عن ذلك العالم (ج . ج . كراوفر):

"هو أحد أهم أسباب نمو المخ وزيادة حجمه"، ولتتأسس بها المظاهر الحضارية والقيم والأخلاق".

لقد أدى استقرار الإنسان إلى تطور علاقات البشر وسلوكهم الإجتماعي، لتجود قرائحهم بأفكارٍ تيسر حياتهم، وإلى إبداع فنونٍ تُجملها!

- إذًا لم يكن سر الحضارة وقصتها الفريدة في وجود النهر فقط، ففي العالم عشرات الأنهار، ولم يكن السر بالتحديد في نهر النيل وبحيراته فقط، حيث يجري حابي وتشترك معنا فيه الآن نحو ستة عشر دولة، قابلة للزيادة بسبب المنازعات والحروب، بل كان السر خلطة عجيبة، تمثلت في ذلك الوادي الخصيب مع عدد من العوامل المجتمعة، تضافرت كلها لبناء عناصر القصة، النهر والأرض الخصبة

والجبال الحاضنة والصحاري الحافظة والمناخ المعتدل الخفيف، ومع كل ذلك الإنسان الذكي المبدع!
اكتفيت في هذا الباب التمهيدي بإيجاز شديد من تلك الاشتباكات الخمس، وما تلاها من محاولات فض، بقصد إظهار ضرورة تصالح المصريين مع تاريخهم وجذور ثقافتهم وأساس مبادئ الضمير الراسخة في أعماقهم، التي ظلت باقية حية متواصلة مع ماضيهم القريب وفاعلة في حاضرهم وهي كاشفة بالتأكيد لطريق مستقبلهم، ثم لحقت وأعقبت كل ذلك بتكرار ذكر قصة الحضارة وسبب نشوئها في مصر -التي لا أمل من تكرار ذكرها في كتاباتي وكتبي- وهي القصة التي تبرر ظهور الحضارة في مصر قبل غيرها، وانفرد بها المصريون دون غيرهم، حيث تبدو ريادتهم وسبقهم في كل المجالات، وحيث يتأكد فضلهم في انتقال البشرية وتطورها من طور البداوة والتوحش الى مرحلة بناء مؤسسات الدولة والعدالة

والقانون والنظام بوجه عام، وكذلك تنظيم العلاقات الإجتماعية بين الأفراد من ناحية، وتنظيم العلاقات الدولية بين الأمم من الناحية الأخرى، الأمر الذي يرتب ويؤدي الى أحقية المصريين في الزود عن ميراثهم والدفاع عن منتجهم واختراعهم ونتاج عرق وإبداع أجدادهم!

وقد حررت كتابي هذا باللغة الرسمية في مصر، أي اللغة العربية، وليس باللغة المصرية الحديثة (اللغة المصري) كما اعتدت الكتابة على مواقع التواصل وكما صدرت بها الأجزاء الثلاثة لكتابي (بنتكلم مصري)، لأني آمل أن يكون هذا المبحث في أصول شعائر الحج والصلاة والصيام، وغير ذلك، عونًا للمصريين وغيرهم, وحجة لأبناءنا يدفعون بها الأباطيل!

الهرم: الجمعة 30 هاتور، 6264 مصري

موافق 9 ديسمبر، 2022 ميلادي

ما هو الحج؟



الحج هو الزيارة الدورية بقصد طلب شئ أو رجاء تحقيق أمنية، هو أيضًا وسيلة إشباع لغريزة وجودية، يشترك فيها الإنسان مع كثير من الكائنات الحية، زيارة من نشتاق إلى ذكراهم، ونحن إليهم، وقد لخّصَت كتابات المصري بحروف الخط الهيروجليفي معاني الحج والزيارة بكلمة واحدة فيها تلك التعريفات كلها مجمعة في الجذر اللغوي؛ "حن/ حنو"، الذي تتصرف منه كلمات "الحنو" و"الحنين" و"الحنان"!



Gardiner's list codes
V28-M2:N35-W24-Z7-D56-D54
Translation
To journey, to go to visit, to go speedily, to hasten, to depart to, to set out
Transliteration
ḥn

بهذه المعانى تكون كل أنواع الزيارات والحنين للوطن ومكان الميلاد أو الإقامة السابقة أو موضع ذكرى لقاء قديم، كلها حج، تحُن الى مكان أو زمان أو ذكرى أو انسان، ذلك الحنين الذي يمنح سعادة الشعور بالإستمرار والإستقرار!

ومن عجائب الحج الأبدي الى مدينة أبيدوس، أنهم يرفعون عمودًا في آخر أيام الحج، ذلك العمود اسمه "جد"، ومعناه = جمال الإستمرار والإستقرار، وكأن ذلك هو غاية وهدف الحج، كل حج، وأي حج، سعادة شعور الإستمتاع بجمال الإستمرار والإستقرار، لذلك فإن الحج إلى مقامات الأولياء والمقدسين بقصد طلب العون فيما يجّد للزائرين من حوادث أمور الحياة، وإشباع غريزة الإشتياق والحنين إلى زمانهم وذكراهم، أي مثالهم وقدوتهم، هو حجٌ، بغض النظر عن حاجاتهم الملموسة، فإنه يحقق لهم ويغمرهم بسعادة من نوع خاص، سعادة الرجوع للزمن

الجميل، سعادة الشعور بالأمان، سعادة الشعور بجمال الإستمرار والإستقرار!

أي أن زوار المشهد الأحمدي في طنطا، هم حُجاج، كذلك زوار مسجد السيدة زينب (أم العواجز)، هم حُجاج، كما أن زوار الست دميانة في أعماق براري الدلتا مركز بلقاس، هم أيضًا حُجاج، زوارٌ مشتاقون يشدهم الحنين، يطلبون ويتوسلون ويتشفعون بالولي الصالح والمزار الشريف هنا، أو القديسة الشهيدة هناك، برجاء قضاء حاجاتهم وتلبية مطالبهم وإجابة مسائلهم، بل وينشدون -دون أن يعرفوا أو يجاهروا- سعادة الشعور بالأمان والإستمرار والإستقرار!

كذلك قد تُعد الحركة الجماعية الدائرية لأسراب الطيور والأسماك والثدييات والحشرات في هجرتهم الموسمية بحثًا عن الغذاء أو التكاثر، إلى أماكن معينة سلكها أسلافهم، هو نوع من الحج، تأكيد لما سبق قوله وتكراره، من أن تلك الكائنات كلها تجاهد من

أجل البقاء والإستمرار، وتلك الحجّات أو الزيارات أو الهجرات أو الحركات، تُحقق لهم الشعور بذلك!

مجرد الحركة الروتينية الدورية، ولو كانت هي الحركة اليومية إلى مكان العمل، كلها من أنواع الحج!

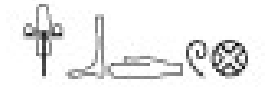
الهجرة الموسمية لبعض الأسماك من مياه المحيط العميقة الى شواطئ البحار والأنهار، لوضع البيض في مواسم معينة وأماكن محددة لكل نوع، تلك الهجرة هي حج موسمي بالنسبة للأسماك، حيث تتوجه إلى الأماكن المناسبة لوضع البيض وانتظار فقسه، حيث استفادت الأسماك من تجارب وخبرات الأجيال السابقة، ثم تلمست ذات الطريق، بنفس الإتجاهات, وتذكرت نفس العادات، ووجدت أنها لا تشعر بالإستقرار والسكينة والأمان على نفسها وعلى صغارها إلا في تلك الأماكن!

الحجاج إذًا يزورون أماكن معينة، أو يتذكرون ذكريات معينة، كما هو الحنين للماضي، صحيح أنهم ينشدون

تلبية حاجات حياتية في الظاهر، ولكنهم أيضًا وأصلاً يريدون الوصول لسعادة الشعور بالاستمرار والإستقرار، وما يرافق ذلك من الإحساس بالسكينة والأمان، في أماكن وذكريات معينة وحضور معين مع روح شخصيات عزيزة أو مقدسة من السابقين!

إن التجانس الذي يتمتع به المصريون الحاليون، لم يأتِ من فراغ، بل حدث ذلك التجانس نتيجة تراكم كميات هائلة من المشاركة في الخبرات والتجارب والأفراح والأحزان والإنتصارات والهزائم، ولعل في مقدمة كل ذلك ما ساهم به حجاج أبيدوس -دون قصد- بمجرد قيامهم بتلك الرحلات السنوية، طوال آلافٍ من السنين، في دعم التجانس الثقافي والإجتماعي للمجتمع المصري القديم، لذلك كان الملك بنفسه أو بنائب عنه يشارك في حضور وممارسة ذلك الطقس السنوي، لأنهم بالتأكيد فهموا أهميته لرفع الروح المعنوية الجماعية للمجتمع المصري، وتحقيق

التجانس الذي يحدث بمجرد التقاء أطياف الحجيج القادمون من شتى أرجاء الإمبراطورية المصرية، فقد أثبتت النصوص الأثرية وجود حجاج لمدينة أبيدوس من كافة الأمم والبلدان المنضوية تحت لواء الدولة (الإمبراطورية) المصرية في زمن ازدهارها وعزها, وأن معاملتهم إجتماعيًا ودينيًا متساوية مع المصريين!

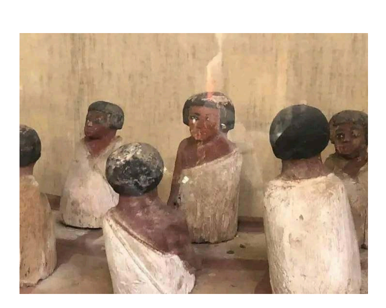


لقد أصبح الحج من الطقوس الدينية المنظمة والمنتظمة، بعدما كان مجرد طقسٍ غريزي تمارسه كافة الكائنات الحية، فما زال الطاويون والمانويون الزرادشتيون والهندوس والسيخ واليهود والمسيحيون والمسلمون والبهائيون، وغيرهم، يحجون الى أماكنهم المقدسة، حيث يُقدر العدد التقريبي الحالي لحجاج

المقاصد الدينية المختلفة في كل مكان من العالم ما يزيد عن ثلاثمائة مليون حاج سنويًا!

وقبل الخوض أو حتى التطرق لما نحن بصدده من دراسة طقوس الحج والصلاة والصيام في مصر القديمة، وبالتركيز على موضوع الكتاب, أي الحج السنوي الدوري الى المدينة المقدسة، التي هي موطن الآباء المؤسسون للإتحاد، وكذلك التي بها مقام رأس أوزيريس، وبها أيضًا مستقر الكا والبا الخاصتين به، أي مدينة أبيدو، وكما ننطقها الآن "أبيدوس"!

رأيتُ أنه من الضروري قبل ولوج مسالك وطرق وطقوس الحج المصري، أو الحج الأبدي، أنه لابد لنا من إفراد مساحة مناسبة لتلك المؤسسة التي حددت وشرحت وفسرت ونظمت وخدمت وتكفلت بإستمرار ذلك المشروع الإحتفالي السنوي الكبير، ويبدو أنها نجحت في هذا التنظيم نجاحًا باهرًا، بحيث قلدته وتبعت خطاه معظم مشاريع



الحج لدى كافة الأمم، من كل عرق ولون ودين، فلن تخطئ العين الناقدة الفاحصة التشابه الكبير في عدد من طقوس الحج حول العالم، مثل طقوس التطهر بالماء وارتداء ملابس الإحرام التي تلتف على الأجساد العارية، وكذلك الطواف، والأدعية، والابتهالات، والصلوات، والنذور، والذبائح والصدقات، كلها متشابهات مشتركات بين كل نوع من أنواع الحج البشري، سواءٌ كان الحج الطاوي، أو الحج الهندوسي أو الحج الإسلامي، أو غير ذلك من صنوف الحج، تلك التي بدأها المصريون القدماء، بإبداع ومثابرة عبر آلاف السنين، بدعمٍ وإرشادٍ من الكاهن المصري ومؤسسته، أي مؤسسة البرابي!

البرابي في مصر القديمة

الأصل اللغوي لكلمة "بربا"، هي كما نعرفها الآن، وجمعها "برابي"، يظهر في ثلاثة جذور لغوية مصرية، من مرحلة الكتابة بحروف الخط الهيروجليفي:

- الجذر الأول: "بر-با": ويعني حرفيًا بيت الروح، إذ كلمة "بر" = بيت، وكلمة "با" = روح، حيث الـ"با" هي الروح المصاحبة والمعاونة والمرشدة للإنسان في حياته، ثم لا تلبث روحه تلك أن تتحول بعد الممات الى طائر يحمل نفس ملامح وجهه!



وكان في عقيدة المصري القديم، أنّ "البا" هي ما يتبقى من الإنسان بعد وفاته، الوسيلة التي بها يظل مرتبطًا ومطلاً ومشرفًا ومتواصلاً مع من تركهم من الأهل والأبناء والأحفاد والأصدقاء والأحباب والجيران وغيرهم!

وكأن البا كانت أداة وصل ونقل وتجميع لعلوم ونصائح ووصايا وتجارب وخبرات السابقين تنقلها الروح الطائرة الأثيرية تلك الى الحاضر والمستقبل، وقد صورها المصري القديم في هيئة طائر برأسٍ شبيه بوجه صاحبه الإنسان المتوفى كما سلف القول، وهنا يُجسم معنى الكلمتين "بر-با" الدور المنوطة به مؤسسة البربا من كونها بيت خبرة أو مركز لنقل وتوصيل خلاصة التجارب والإرشادات إلى الناس بصفة عامة، والأجيال الجديدة منها على وجه الخصوص.



- **الجذر الثاني:** "بر-ايب"، ويعني حرفيًا بيت القلب/ بيت القلوب، وليس بعيدًا عن ذلك أنه هو الإسم الذي تسمت به قاعة الأحكام الأوزيرية.

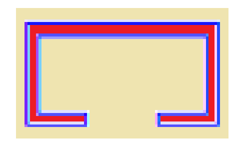
وفي معنى هذا الجذر اللغوي ما يصف ويلخص مكانة مؤسسة البربا، حيث موقعها من المجتمع يكون بمثابة مكانة القلب من جسم الإنسان، وهذا الوصف

فيه تلخيص آخر لحقيقة دور البرابي، فهي بالفعل كانت المؤسسة التي تمد وتضخ في المجتمع المصري القديم خُلاصة حُكمائه وفَلاسفته ومُرشديه وكُتابه وقُضاته وفَنانيه وعُلمائه ومُعالجيه وصُناعه وحرفييه، تمامًا كما هو دور القلب إذ يضخ الدماء المحملة بالطاقة في الشرايين الى الجسم كله!

- **الجذر الثالث:** "ر-بر/ ر-با"، مع إضافة أداة تعريف (ب)، وتعني المقر، كما يمكننا ترجمتها حرفيًا الى: (المؤسسة)، بما تعنيه تلك الكلمة في مفهومنا الحالي، أي المنظمة أو الهيئة, المكان الذي يدير نشاط أو أنشطة معينة بجودة معينة لتحقيق هدف معين، وهو هنا ما تهدف إليه مؤسسة البرابي من حراسة الضمير في المجتمع وضمان استمراره واستقراره وتحقيق أسباب تجانسه!

إذًا كلمة "بربا" وصلت إلينا منطوقة ومفهومة من اللغة المصرية القديمة، من جذورها السابقة، وبمعانيها

الشاملة، فهي بيت الروح، وهي بيت القلوب، وهي المؤسسة الجامعة الحافظة الناقلة للمعارف والقيم!



نعرف الآن معنى كلمة "بربا"، بعد فك وترجمة خطوط اللغة المصرية القديمة، وبعد أن استطاعت أجيال من الباحثين المصريين قراءة نصوص لغة أجدادهم، حيث فوجئوا بأن إسم هذه المؤسسة الحيوية هو "بربا" أو "بربة"، تمامًا كما قرأوها مسجلة باللغة العربية عند العديد من المؤرخين القدماء قبل كتابات المستشرقين الغربيين بقرون طويلة، إذ وجدنا نفس الإسم الذي تواصل معه وبه عدد من الكُتّاب أو المؤرخين الذين كتبوا باللغة العربية، نقلاً عن معاصريهم من المصريين، كما وجدنا أن الإسم بقيَّ خالدًا في أسماء بعض القرى، مثل بلدة "البربا" بقسميها الصغرى والكبرى التابعين لمركز أبو قرقاص محافظة المنيا، وكذلك قرية "البربا" بمحافظة سوهاج، مركز جرجا،

تلك القرية الملاصقة أو القريبة من مقر الحج الأبدي، العاصمة المقدسة أيدوس.

- تحدث عن البرابي ووصفها "ذو النون المصري" ابن مدينة أخميم 796م، الذي كان شغوفًا بالسياحة في أرجاء وطنه، والتجوال بين الآثار من برابي وأهرامات ومقابر، وقراءة وتفسير بعض ما فيها من كتابات ونقوش، فهو أول من قرر وكتب باللغة العربية أن:

(رسوم ونقوش قدماء المصريين هي حروف كتابة)، محققًا ومؤيدًا لرأيه هذا في مؤلفه الهام: «**حل الرموز وبرء الأسقام في كشف أصول اللغات والأقلام**"، كما تحقق له أن البرابي كانت مؤسسة علمية وتعليمية رفيعة المستوى، وكما قال وكتب حرفيًا:

(كانت "البرابي" دوراً للعلم ومعرفة الإله)

- كما ذكرها المؤرخ المصري المولود 803م والمتوفى في مدينة الفسطاط (قلب القاهرة الحالية)،

المعروف بلقبه "ابن عبد الحكم"، في كتابه "فتوح مصر وأخبارها" حين اهتم بدورها متحدثًا عنها في باب تحت عنوان:

ذكر عمل "البرابي"!

ذكر عمل البرابى

قال عثمان بن صالح فى حديثه :

« وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها : تدورة ، وكانت السحرة تعظمها وتقدمها فى علمهم وسحرهم . فبعثت اليها دلوكة ابنة زباء انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك

٣٠

وهكذا ظل هذا المصطلح متواصلاً ومعترفًا به في كثير من الكتابات منذ أول جملة دونت وأول كتاب كُتب عن مصر باللغة العربية، لدرجة أن تُذكر البرابي أيضًا في باب كامل من الكتاب المشهور بعنوان: "الخطط المقريزية"!

- حيث ذكرها المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي (المولود بالقاهرة 1364م، والمتوفى في القاهرة 1442م)، في ذلك الكتاب الذي إسمه

الأصلي هو: "**المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**"، وكان هذا تحت عنوان باب:

"**ذكر ما كانت بمصر من الطلسمات والبرابي**"

- كذلك ابن إياس المؤرخ المصري الذي كانت كتاباته متخصصة في التاريخ المملوكي (مولود بالقاهرة 1448، وتوفي بها 1528 م).

حيث ذكر ابن إياس البرابي ونوه عنها وأشار إليها والى بقائها ومشاهدته لآثارها في حياته، ووصف حالها بأنها بقيت صامدة عبر الدهر رغم حادثة الطوفان العظيم الذي دمر كل ما على وجه الأرض، زمن النبي نوح، تلك الحادثة المحورية المذكورة في الكتب المقدسة، حيث قال نقلاً عن الكسائي أنه لم يبق من الوجود بعد الطوفان سوى قرية نهاوند الجبلية والأهرامات والبرابي، إذ كتب ذلك حرفيًا، وكما هو واضح في الصورة المرفقة التي فضلت نشرها هنا لتكون عونًا لمن يريد مزيدًا من البحث في هذا الموضوع:

"ولم يسلم من القرى سوى قرية نهاوند فوجدت من تحت الماء كما هي لم تتغير، وسلمت الأهرام وسلمت البرابي التي كانت بجهات الصعيد .. الخ"

ومضى يخوض فى المـاء حيث شاء . قال الكسائى أول ماظهر من الجبال فى الارض جبـال
أبى قبيس الذى بمكة وظهر مكان الكعبة وقد صارت ربوة حمراء ولم يسلم من القرى سوى
قرية نهاوند فوجـدت من تحت الماء كما هى لم تتغير وسلمت الاهرام وسلمت البرابى التى كانت
بجهات الصعيد وهى التى بناها هرمس الاول الذى أودع فيها علم النجوم وعلم الهيئة فوجـدت
على حالها . ثم إن نوحا أراد أن يعلم هل انكشف الماء عن الارض أم لا فأرسل الغراب ليكشف

ويقرر ابن إياس هنا أن البرابي التي في (جهات صعيد مصر)، قد وجدت -منذ ما بعد الطوفان- على حالها في زمن كتابته لذلك النص، أي أنها شهادة ذاتية معاصرة لهيئة وحالة آثار البرابي المتبقية في زمنه، ثم يقرر باختصاصها بـ (علم الفلك وعلم الهيئة)، نعم علم الهيئة الذي كان يقوم على أساس من القواعد الرياضية والهندسية، أي أن علم الهيئة بمسماه القديم قريبٌ في محتواه من علم الفيزياء الذي نعرفه الآن!

إن المؤرخ المصري ابن إياس كما لو كان مستشرفًا جدل وشكوك المستقبل حول دور مؤسسة البرابي،

إذ أنه لم يكتف بإثبات حقيقة إسم "البرابي" فقط والشهادة بحفظ آثارها حتى تاريخ حياته، بل إنه أشار أيضًا إلى جانب مهم من وظائفها المجتمعية خارج الوظيفة الدينية، وهو اهتمامها بعلمين أساسيين في العلوم الطبيعية وهما "علم الفلك" و"علم الهيئة"، كما كانا يسميان في ذلك الوقت، وهما علمان موسوعيان يشملان علومًا طبيعية كثيرة مما نعلمها بأسماء مختلفة الآن، مثل علم الفضاء بما يشمله من دراسة رصد وكيمياء وفيزياء حركة الأجرام السماوية، ومعارف الرياضيات من حساب وهندسة وجبر وقياس وكذلك علوم الفيزياء الحيوية والكونية والجيوفيزياء والجيولوجيا .. لخ، فإن أضفنا لذلك علمين ذكرهما ذو النون ونوه الى أن تلك العلوم أصلها من مصر، وهما "علم الصنعة" أي التركيبات الكيميائية، وعلم الحجر، أي الجيولوجيا، لخرجنا بالنتيجة الواقعية المنطقية بأن كل هذه علوم أنتجتها وحفظتها وطورتها البرابي!

ليس المؤرخون المصريون السابق ذكرهم فقط هم الذين كتبوا عن البرابي باللغة العربية والحروف النبطية العربية, بل يوجد غيرهم كثيرين من الكتّاب والمؤرخين المصريين, وأيضًا غير المصريين!

- إذ كتب الجغرافي الرحالة الشامي شمس الدين المقدسي (المتوفى 990م) يقول في كتابه "أحسن التقاسيم في وصف الأقاليم"، ضمن وصف عجائب الدنيا، بغض النظر عما كتبه عن المسخ والطلسمات وغير ذلك من معارف عصره التي تتعلق بالغيبيات:

"على طريق الصعيد بيوت تسمّى البرابي فيها تصاوير كثيرة وبها وبالهرمين عقود وطروح كثيرة"

- كذلك نجد المؤرخ الرحالة الطنجي المغربي المشهور بإسم أُمه: "ابن بطوطة"، قد خصص للبرابي والأهرامات والآثار المصرية القديمة فصلاً، ضمن وصف رحلته إلى مصر زمن الناصر محمد بن

قلاوون، (1309-1341) وذلك في كتابه "تحفة النظار" بعنوان:

(ذكر الأهرام والبرابي)!

إذن، لقد تناولها وذكرها عدد كبير من المؤرخين والكتاب القدماء بذات اسمها الأصلي "برابي" ولم يُشر أولئك الكُتاب القدماء إليها أبدًا بكلمة "معبد"!

لقد كان المؤرخون المصريون الذين كتبوا باللغة العربية متواصلون مع هويتهم اللغوية المصرية المنطوقة وعبروا عن آثار مؤسسة البرابي بنفس اسمها المتواصل بين المصريين في زمانهم، وكذلك نقل عنهم عدد من المؤرخين والكتاب الرحالة من غير المصريين، وظل الأمر كذلك حتى بدأ الغرب الأوربي والأمريكي يظهر ويقوى ويستولي ويستعمر ويسيطر على الشرق، وكان ذلك منذ القرن التاسع عشر الى القرن العشرين الميلاديين، حيث انتشرت ترجمات مبعوثيهم وجواسيسهم المعروفين بإسم المستشرقين الغربيين، منذ

ذلك الوقت بالتحديد نجد أن كلمة "برابي" قد اختفت من كتبهم، وقاموا بترجمة معناها في اللغات الأوربية الى كلمة "temple"، ثم نقل عنهم وسار على دربهم التابعين لهم المتمسحين فيهم من المترجمين الشوام -الذين كانوا قد عُيّنوا في "قلم الترجمة"، زمن محمد علي باشا- حيث غابت عنهم الكلمة المصرية الأصلية، وأدخل أولئك التراجمة الشوام الى الكّتابات العربية كلمة "معبد"، ثم أصبحت تلك الكلمة "معبد" خطئًا لغويًا شائعًا منتشرًا وواقعًا مأسوفًا عليه، بينما توارت وأُهمِلت وتُركت عمدًا كلمة "بربا"، الكلمة اللغوية الأصلية الصحيحة!

لقد كانت كّتابات المستشرقين تلك، ومن ترجم عنهم، كّتابات وترجمات مدسوسة غير صحيحة، حيث عبرت كلمة "برابي" عن اسم ووظيفة مؤسسة عظيمة الأثر في المجتمع والحضارة المصرية، بينما باعدت عن

ذلك الأصل وتلك الوظيفة، بل أفرغته من محتواه وهمشت دوره وشوهت معناه تلك الترجمة المعيبة:

"معبد"!

حقًا وصدقًا، إن كلمة "معبد" المترجمة المنتشرة تلك، قد انتقصت كثيرًا من قيمة وقدر "البربا" المؤسسة الرائدة المؤثرة في حياة قدماء المصريين!

فما هو الدور الريادي للبرابي؟

بالتطور الطبيعي لما حدث على أرض مصر من بناء حضاري متراكم عبر مئات الأجيال وآلاف السنين، قامت وتشكلت لإدارة المجتمع المصري مؤسستان أو سلطتان رئيسيتان، إن جاز التعبير بذلك، "سلطة القصر" و"سلطة العدالة"، وهما هيئتان لسلطتين متوازيتين متكافئتين في أغلب الأحوال:

- **أولاً: سلطة القصر**: أو مؤسسة السياسة:

تمثل قمة ورأس الدولة المصرية، التي مهمتها حفظ النظام العام، وتحقيق المصالح العليا، وتتكون من:

(1) الملك **nsw**، و(2) العائلة الملكية "النبلاء" **rpcwt**، و(3) الجيش **ḏbiw**، و(4) الشرطة **šnṯ**، و(5) المحافظين حكام الأقاليم **ḥry-tp**.

- **ثانيًا: سلطة العدالة:** أو مؤسسة الضمير:

مقرها في البرابي، تمثل قلب وضمير المجتمع المصري، مهمتها تحقيق تجانس وتماسك وتوازن واستقامة واستقرار المجتمع، وتتكون من:

(1) كهنة المراسم والطقوس، و(2) كهنة المعارف والفنون، و(3) كهنة الصيانة والخدمات، ثم (4) القضاة بكافة درجاتهم وأنواع وأماكن مجالسهم ومحاكمهم، وكذلك (5) الكُتّاب بتنوع مهاراتهم واختلاف ألوان تخصصاتهم!

- ولسوف يأتي تاليًا بيان مختصر لمسمى ودور كل منهم!

مثلت هاتان السلطتان جناحا إدارة المجتمع المصري، وكانت قوتهما معًا تعني تقدم وازدهار وعطاء حضاري كريم، بينما كان ضعفهما معًا أو ضعف أحدهما، يترجم على الفور الى فترات شتات واضمحلال وتفكك بنية المجتمع، مما سهل الأمر على الطامعين من الأعداء الذين ابتليت بهم بلادنا، غزو واحتلال يتبعه غزو واحتلال!

أما عن البرابي وكيف نثبت أنها كانت مؤسسة تمثل سلطة حقيقية تشارك في إدارة المجتمع، فليس أمامنا إلا تفحص الأدلة والقرائن المختلفة، من واقع المصادر الأثرية وكذلك من تحليل المسميات اللغوية، وكذلك القرائن وأهمها قرينة الزيادة المفرطة في أعداد العاملين في البرابي:

إن وصول أعداد العاملين بالبربا الواحد إلى مئات بل آلاف العاملين من كافة الرتب والدرجات، يشير بلا أدنى شك إلى عظم المكانة وأهمية الدور الذي

تمثله تلك المؤسسة في المجتمع، حيث يبدو من تنوع واختلاف درجات ووظائف الكهنة، مدى جسامة المسئوليات الملقاة على عاتقهم، من قمة الهرم الوظيفي الكهنوتي وحتى قاعدته، حيث نجد رئاسة المؤسسة الفعلية ممثلة في منصب الكاهن العظيم "عا-وعب"، يليه مجلس إداري من خمسة كهنة كبار، كل منهم حاصل على درجة "وعب-ديو"، ثم يليه كيان إداري من عشرة كهنة حاصلين على لقب "وعب-مجد"، ولجنة العشرين "وعب-جود"، ولجنة المائة "وعب-شد"، ومجموعة المائتين "وعب-شدد"، ومجموعة الألف "وعب-خا"، كل مجموعات العمل تلك عدا الإدارات أو المجالس المتخصصة، مثل مجلس الحتحورات السبعة للصحة والدواء وكل واحدة منهن تحوز لقب "وعبت-حوت-حر"، ومجلس سيشات للهندسة والفلك والسجلات بلقب "وعبت-زات"، ثم تتعدد المجاميع واللجان وفرق العمل، الذي يشير إلى

سيادة ثقافة العمل الجماعي كفريق، تصاحبهم وتظهر من خلالهم عديد من المهام والمسئوليات الفردية، من كافة التخصصات المراسمية أو الفنية أو الخدمية!

حيث تبدو ملامح مهام وأدوار منظومة الكاهنات الإجتماعية المتنوعة كذلك من تعدد أسماء وظائفهن: "وعبت-حمت"، و"ونات"، و"فرات"، و"غطيس"، و"ولشة"، و"أنس"، و"إيوحة"، و"شماية"، و"سيادة/ سيدة" .. إلخ، ولاشك أن إختلاف أسماء وطبيعة تلك الوظائف يبين بوضوح وجود دور مختلف لكل مهمة من مهام تلك السيدات العاملات في مجالات مختلفة ووظائف متنوعة من أعمال البرابي، التي تعتبر بذلك الوصف هي أقدم مؤسسة عمل في الوجود!

مع العلم أن هاتيك الكاهنات العاملات، اللائي كن يمارسن دورهن الوظيفي بهمة وجدية، بالإضافة لمسئوليات حياتهن الشخصية في منازلهن، كُنّ جميعًا سيدات بالغات، بل ومتزوجات في الغالب!

كذلك تشير أسماء عدد آخر من الألقاب والوظائف الفردية الى المهام الحرفية أو التقنية المتخصصة للكهنة الوعاب من الرجال والنساء، مثل:

الكاهن المعالج "وعب-بر-عا"، ومسئول النتيجة والمواعيد "أبض"، ومسئول الملابس والأقمشة "جبيطي"، والقراء والمنشدين "خلي-حبيت"، والزراعيين "حمدا"، ومسئولو التوريد والمشتريات والتجارة "طواسة" والمفتش الإداري "بسنتي"، كما يتبع كل وظيفة ويتفرع منها عشرات المهن والوظائف داخل تلك المنظومة العميقة! حيث وجدت وصفًا بليغًا دقيقًا لمجموعة من تلك المنظومة أو السلك الكهنوتي وهو:

"ونوت-حوت-نتر"

ذلك المصطلح الذي يعني حرفيًا، منسقي البيت المقدس، فهاهي كلمة البيت المقدس "حوت-نتر" تشير أيضًا إلى "البرابي" وتقابلها في معناها، وبإعمال

قواعد الصرف اللغوي يمكننا تفهم مهام تلك الجماعة الكهنوتية، التي كانت مشغولة بتنظيم وتنسيق وترتيب الأعمال، حيث نصل إلى هذا المعنى بمجرد تصريف كلمة "ونوت" من إقلاب (شقلبة) الواو مع الفاء، حيث ينتج منها كلمة "فنوت/ فنوط"، ومنها التفنيط، في اللغة المصرية الحديثة، والذي يعني الترتيب والتنسيق، كذلك ما بقي في لغتنا المصرية الحالية من تصريف آخر يعطي مدلول كلمة الـ (ون) أي النشاط بهمة وأمانة, كما يتصرف منها الـ "فن"، وتلك تمامًا كانت محاور عمل مجاميع الوعاب!

إذًا هي ليست مجرد زيادة في أعداد منسوبي البرابي، عادية أو مؤقتة واستثنائية، بل إن التضخم الدائم والمتنامي والمتوالي في أعداد العاملين بمؤسسات البرابي، وتنوع واختلاف مهامهم وأدوارهم في الخدمة داخل وخارج البربا، هي أدلة وقرائن على استحالة أن يكون دور البرابي مقتصرًا فقط على ما ندعوه

الآن بالطقوس الدينية، بل ويضاف إليها ويؤيدها أدلة وقرائن أخرى منها:

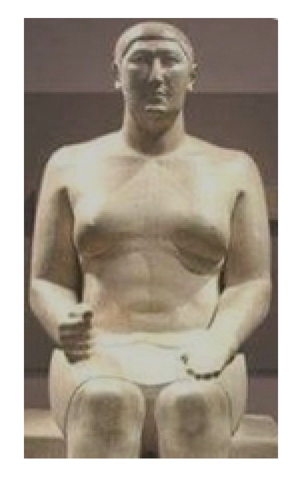
1. ما كان في البرابي وما زلنا نشاهده الى اليوم فيما بقي من آثارها من ضخامة مبانيها وأسوارها السميكة العالية، وتعدد الباحات والملحقات والحجرات داخل بناء البربا وخارج أسواره.

2. وكذلك حيازة البرابي لمساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، واقتنائها لأعداد من الحظائر الضخمة التي تحوي عشرات آلاف من الأبقار والحمير والأغنام، والبهائم من كافة الأنواع.

3. تنوع في المواد والأغراض الموردة لمؤسسة البرابي (ما يسمى بالقرابين) بكميات كبيرة هائلة من الأقمشة والأطعمة والمشروبات والعطور والبخور ..لخ، يدل أنها كانت مستلزمات ضرورية لإعاشة وتموين فريق العاملين بمؤسسة الكهانة، أي الوعاب.

4. ثبوت امتلاك بعض البرابي لأساطيل نقل نهري تستخدم في التجارة بطول نهر النيل، بل وخارج حدود الدولة المصرية!

5. وجود برديات تسجيلية تمثل ما يشبه الفواتير والقيود المحاسبية، برواتب العاملين في البرابي من المهن المتخصصة المختلفة!



كل ذلك وغيره ينفي أن تكون تلك المؤسسات الضخمة، هي فقط للخدمة الدينية بقصد إقامة الشعائر والطقوس وعمل المراسم وتنظيم الأعياد والمواكب، كما يتم تصويرهم كثيرًا في كتابات المؤرخين، بل تقديمهم وكأنهم ليسوا سوى كائنات طفيلية لا عمل أو وظائف حقيقية لهم، وكم تعرَّضت للظلم والكيد تلك المؤسسة صاحبة الريادة والفضل على الحضارة الإنسانية، حين نرى أن

إيمحتب الفيلسوف الطبيب هو أيضًا مهندس الهرم المدرج، كان في الأصل كاهن ومسئول كبير في منظومة البرابي، وكذلك كان حم-أوني مهندس الهرم الأكبر، وهكذا الأمر في كافة منشآت وعمارة المصري القديم، نراها قد تم تخطيطها وأحيانًا كثيرة قد تم تنفيذها ذاتيًا بإشراف الكهنة الوعاب من كافة التخصصات، كما أننا لو تتبعنا جذور وأصول العديد من الإنجازات الحضارية كالتقويم والكتابة وفنون النحت وصناعة التماثيل ونسج وخياطة الأقمشة والملابس، بل وصباغتها واختلاف موديلاتها وأشكالها، وأصناف المخبوزات والمشروبات والأجبان والزيوت والعطور، وابتكار الوجبات وحفظها بالتمليح والتجفيف والتخليل، كل ذلك وغيره تم من خلال مؤسسة البرابي، بل إن تطوير أهم سلاح حربي في تلك العصور القديمة وهو العجلة الحربية، السلاح

الذي حسم المعركة ضد الهكسوس بما أدى الى انتصارات الملك أحمس الأول، كان ذلك عن طريق كهنة البرابي، وبالتحديد بربا حورس في إدفو، الذي احتضنت باحاته تدريبات واستعدادات كتائب التحرير، كما تُفَسّر تقدمة قرابين التحية برمز الـ "**wrryt**" أي العجلة الحربية، الموجهة إلى البربا من قائد الجيش المصري آنذاك: أحمس ابن ابانا، حسب المُسجل في مقبرته بالكاب!

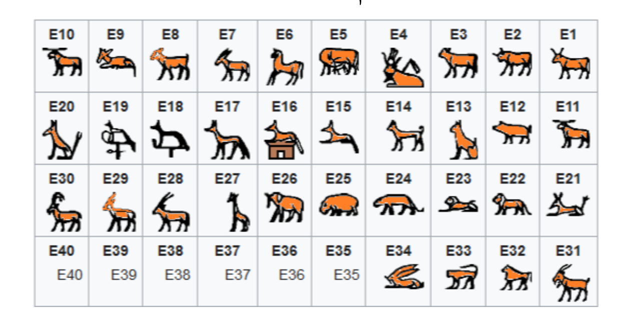
• البرابي، كانت مؤسسات إجتماعية مقابلة لمؤسسة الإدارة السياسية والعسكرية والحكم المحلي، بل قامت بإدارة تلك الشئون مجتمعةً، وانفردت بالسلطة في فترات وأزمات صعبة من عصور التاريخ المصري.

• البرابي، قامت كذلك بدور الجمعيات الزراعية، لأن الفلاح كان يتلقى منها الإرشادات الزراعية المختلفة، عن مواعيد الزراعة وأصناف المحاصيل، وعن طرق

الري والصرف، وكيفية تخصيب التربة، وأساليب المقاومة والوقاية من الآفات، بل كان تسجيل أنواع وأشكال الآلات الزراعية بمعرفة مؤسسة البرابي، وكان أولها على الإطلاق هو المحراث المصري الذي انتشر بعد ذلك في ثقافات العالم القديم، ولولا ما تركه الكتبة الكهنة النحاتين والرسامين من كتابات عن الحياة الزراعية والنباتية والحيوانية في مصر، لما علمنا الكثير عن ذلك، ولابد أن معارفهم وكتاباتهم المسجلة تلك، وقد انتشرت إن قسرًا بالغزوات والإحتلالات أو طوعًا بالسياحة والتجارة وكافة صور العلاقات والإتصالات، كانت هي الأصل والسبب الرئيسي لتطور وتواصل المعرفة في العالم، سواء في تلك العلوم الزراعية أو غيرها.

• البرابي، قامت بدور الوحدات البيطرية، عن كيفية علاج وتسمين وتوليد وتهجين وتربية الحيوان، بل واكتشاف الصالح منها للإقتناء والتربية كما حدث في

اكتشاف الدجاج الداجن نتيجة ملاحظة الكهنة المصاحبين للملك تحتمس الثالث، ثم جلب ذلك الطائر المنتج لكميات من البيض الى البرابي ثم نشر تلك المعرفة بين الناس لدرجة أن أصبح للدجاج اسم شعبي وهو "برابر" المنسوب بالتأكيد للبرابي والمعروف حتى الآن بنفس الإسم!



كذلك قامت البرابي بدراسة وفحص أنواع الحيوانات، حتى استطاع الكاهن الكاتب الفنان أن يختزلها ثم يجرّدَها ويحولها إلى رموز، بل حروف تُنتج وتُسجل الأصوات، تلك التي تم وضعها في وظيفة المخصصات اللغوية المعروفة لنا الآن، التي توضح

وتحدد معاني الكلمات، بما ينبئ عن عملهم العظيم، ومثابرتهم في مراقبة ودراسة حياة الحيوان.

• البرابي، كانت مؤسسات للعلاج والاستشفاء للبشر، كالمستوصفات الخيرية الآن، حيث كان الكشف على المرضى والوصف وصرف الدواء والعمليات الجراحية، وكذلك صناعة الأدوات الطبية، تتم داخل أقسام مخصصة بالبرابي بواسطة معالجين وممرضين وجراحين ومجبرين للكسور ومرمدين للعيون من الكهنة المتخصصين في ذلك، ومازلنا نرى آثار كثيرة من هذا باقية في متاحف العالم، فهناك المتخصص بالمسمى "**šs**" المراقب الخاص بأمراض وجراحات القلب، ،ويوجد "**srw**" الخاص بالسرة والمعدة أو أمراض البطن، وكذا "**ṯst**" المتعلق بفقرات ومفاصل العظام، وكان من وظائف كاهن "hnwyt" أن يقوم بالعلاج بالأكواب الضاغطة على نقاط معينة من الجلد، والتي تسمى

الآن بالحجامة، كذلك تخصص الـ "**hnwḥ**" لتطهير الجروح وإزالة القيح، ثم علاج العيون "**ḏ**ȝ" و"tmtm"، وهكذا تخصصات علاجية متعددة.

• البرابي، مؤسسة مهمة للمواليد والأسرة، فمن بين كافة التخصصات الطبية، نالت وحظيت المواليد بعناية خاصة من مؤسسات البرابي، بحيث خصصت لها مكانًا مميزًا داخل التصميم الهندسي لمنشأة البربا، وضمن هيئته الأساسية، كان يتم فيه تقديم إستشارات وإرشادات الحمل والولادة ورعاية الأمومة، من متخصصين، ونرى الآن ذلك الموقع المميز فيما تبقى من أطلال البرابي، إسمه "ماميزي" أي بيت الولادة، وهي كلمة منطوقة من مرحلة الكتابة بالخط القبطي المتأثر بالخط اليوناني، وهي عبارة عن أداة المكان "ما" مع الكلمة الأصلية الآتية من مرحلة الكتابة بحروف الخط الهيروجليفي "زميزي" التي تعني الولادة، أي أن كلمة ماميزي، تعني حرفيًا مكان

الولادة، أو كما يقال الآن مستشفى الولادة، ذلك المكان الذي تتزين جدرانه -حتى وقت كتابتي هذه- بصور الكاهنات الحتحورات اللاتي يقمن بعمليات التوليد، بما لديهن من أدوات طبية -من إبداع وصناعة الكهنة أنفسهم- والتي مازال بعضًا منها يُستخدم في المستشفيات حتى الآن!



• البرابي كانت مؤسسات للبحث العلمي، الرياضي والفلكي والكيميائي، من ضمن مهامها إبتكار وتطوير أحدث وأسهل طرق البناء، وكذلك صناعة أنوال النسيج و"خرط" أي تفصيل الملابس، واستخلاص

وابتكار وزراعة وجلب أصناف العطور والبخور والبهارات، ومعدات الصناعة وأدوات الحرفيين، ووسائل النقل .. الخ، ولا



يغيب عنا ذكر ما سبق من مهندسي الأهرامات وبناة المسلات والبرابي وكافة المعالم المعمارية للحضارة المصرية الباقية حتى الآن شاهدة على الأدوار العظيمة لكهنة البرابي، ويكفي أن مهنة الكاتب كانت لا تُجاز ولا تُعتمد، أي لا يُمنح الكاتب ما يشبه الإجازة أو شهادة أو ترخيص مزاولة المهنة، إلا إن كان قد ترقى في سلك الكهانة، وتخرج من البرابي.

ويمكننا القول هنا أن مهنة الكاتب كانت تماما كمهنة الكاهن، كانت مهنة تمتهنها النساء كما يمتهنها الرجال على السواء، فكان يوجد الرجل الكاتب "**šs/sḫš**"

وكذلك توجد المرأة الكاتبة "**šst/sḫšt**"، وقد عبرو عن تصميماتهم وأفكارهم أو أسلوبهم في اختيار رموز وأشكال الكلمات بالمصطلح "kt-ib"، الذي تصرف منه الفعل "كتب" واسم الفاعل "كاتب"، ويمكننا أن نتعرف هنا على ألوان من تخصصات أولئك الكُتّاب، مثقفي وفلاسفة ومرشدي العالم القديم، ومعرفة أماكن ومجال أعمالهم، وذلك من خلال ألقابهم:

- كاتب ماهر "**mhr**" مختص بالتجنيد للجيش
- كاتب مشاة "**sš mšˁ**" مراسل حربي
- كاتب تمام "**sš tmꜣ**" عمومي
- كاتب اضبارة "**ṯpr**" للسجلات
- كاتب حاسب "**sš ḥsb**" محاسب
- كاتب قدوة "**sš Ḳdwt**" للملخصات والسيَّر
- كاتب مشخص "**sḫš**" للنوادر والحكايات

- كاتب سِحَن "sḥn" إداري حكومي
- كاتب دنيا "sš dnit" لإعلان التعليمات
- كاتب نصوص "sš nsw" كاتب ملكي
- كاتب وضوح "sš wḏḥw" بيان القرابين
- كاتب محيط "sš ḥwt-nṯr" كاتب البربا



ليس القضاة والكتّاب والحكماء والمعالجين والمهندسين فقط هم من تخرجو من مؤسسات البرابي، بل إن مهناً كثيرة تتصل بالحياة الإجتماعية قد تعلمت وتدربت ثم تخرجت من البرابي، مثل المطربين والمطربات، والعازفين والعازفات، والمؤلفين والمنشدين والملحنين والمدربين لفرق الموسيقى والمسرحيات، وأيضًا الراقصين والراقصات، إذ لم يكن عمل تلك الفئات من المهنيين وإبداعهم فقط

بإشراف منظومة البرابي، بل يمكن القول بكل ثقة، أن أولئك وهؤلاء جميعهم كانوا من ضمن خريجي تلك المؤسسات الرائدة، الذين يبقون دائمًا على ارتباطهم بها، بل ويحرصون على الإلتزام بتعاليمها وأساليبها مدى الحياة.

• البرابي، مؤسسة تعليمية، يلتحق بها الأطفال من الجنسين، إقامة وإعاشة كاملة، في مباني من الطوب اللبن "الني" خارج جدران البرابي، وكانت الدراسة بها من ثلاث مستويات تعليمية هي:

1. "صبا sbꜣ" لمرحلة الطفولة، أي الإبتدائية.
2. "عت-صبا ꜥt-sbꜣ" للمرحلة الإعدادية.
3. "بر-عنخ pr-ꜥnḫ" أي المعاهد.

واختصت تلك المرحلة الأخيرة بالدراسة حول أعمدة البرابي، وهو النظام الدراسي الذي ظل قائمًا في الكنائس والجوامع، حيث عرفت الدراسة الأزهرية

منصب "شيخ العمود"، وهو الأستاذ الذي يخصص له عمود لإلقاء دروسه، وكذلك عرفت الجامعات المصرية: "أستاذ كرسي"، أي الشيخ الكبير الذي يُمنح كرسي يتجمع حوله الطلاب بين الأعمدة، ثم صار كناية لوظيفة مرموقة، ألا وهي رئاسة الأقسام في الكليات الجامعية, ولعل اعتراف العديد من مؤرخي وكتّاب وفلاسفة وعلماء اليونان بتلقيهم العلم في مصر, لهو من أوضح الأدلة على الدور التعليمي للبرابي, فقد التحق أفلاطون وأرسطو وسقراط واسترابون في "بر-عنخ" أي جامعة أو كلية بربا أون (عين شمس), وقد التحق رئيس القضاة صولون وعالم الرياضيات فيثاغورس في "بر-عنخ" الجامعة التابعة لبربا منف, بعد رفض التحاقهم في أون!

• البرابي، إذًا كانت هي المؤسسة الاجتماعية، التي تحرص على صيانة القيم والعلاقات، تفض المنازعات وتجري المصالحات، قبل اللجوء للمحاكم.

- البرابي، كانت كذلك هي المؤسسة المخولة بتطبيق نظام الماعت، والحرص على استقراره، لضمان إستقامة وتوازن السلطة، وكان من مهامها تنبيه الحاكم الذي قد يتخطى أو يخالف الماعت، أي أنها كانت تقوم بوظيفة رقابية مشابهة لدور المحكمة الدستورية في نظامنا القضائي الحالي!
- كما أن البرابي كانت المصدر الأساسي لمنظومة القضاء، إذ أن جميع القضاة بكافة درجاتهم واختلاف وظائفهم قد تعلموا وتدربوا وتخرجوا من منظومة البرابي، ثم يتم إنتدابهم أو تعيينهم في الهيئة القضائية، إذ تبوح المصطلحات الدالة على أسامي الوظائف القضائية بأسرار أشكال متكاملة، ومهام متعددة لتلك الوظائف:

1. حين يبدأ التشكيل القضائي بقاضي الـ "**msḏr**" وهذه هي سلطة قضاء تلقي الشكاوي، أو قضاء التحقيق كما نعرفه الآن.

2. ثم قاضي الـ "**wpty**" وهو القاضي المنوط بالتحري للتأكد من صحة الإتهام.

3. يصاحبهم جميعًا قاضي الـ "**spt**" وهو المنوط به (إثبات) تفاصيل التحقيق أو المحاكمة، بل وتجميع أدلة (قائمة الثبوت).

4. أما من يمثل السلطة في المحاكمة فهو قاضي أيضًا يعرف بإسم الـ "**sḏmy**" يماثل منصب المدعي العام أو النائب العمومي أو المحامي العام في أنظمتنا القضائية الحالية.

5. يقابله قاضي الـ "**sȝb**" أو الصواب، وطلب التماس الرأفة لمن يستحق، وأعتقد أن هذا هو أقدم شكل من أعمال المحاماة، يمارسه أحد القضاة، أي من نفس المنظومة القضائية، وربما قد يكون ذلك هو السبب التاريخي أو الأصل الحقيقي لإعتبار المحامين ضمن الهيئة القضائية في كل دول العالم حتى الآن،

ومثال ذلك ما ورد بالمادة الأولى من قانون المحاماة المصري والذي تبدأ بالنص أن:

"المحاماة مهنة حرة تشارك السلطة القضائية فى تحقيق العدالة".

6. ثم هناك القضاة الوضّاعون المختصون بإصدار الأحكام أو (واضعي) القرارات والأحكام ومسمى وظيفتهم الذي يمكن نطقه تصريفياً: وضع "**wḏc**".

7. أما مجلس القضاء أو المحكمة نفسها فإختصت باللقب القضائي العام، **چاچات "ḏʒḏʒt"**، وهو اللقب الذي تصرفت منه كلمات كثيرة في نفس المجال القضائي، مثل كلمة **judge** وكلمة **judgment** في اللغات الأوربية، وكذلك كلمات في اللغة المصرية الحديثة مثل قضا وقاضي وقُضاة وقضية وقضايا وقواضي .. لخ، والتي انتقلت من المصرية القديمة الى اللغات الآرامية والسريانية والنبطية ثم اللغة العربية!

كما تفصح النصوص المصرية عن أنواع عديدة من المحاكم، وبالتالي من درجات التقاضي:

1. **الكنبة:** حيث في بداية الطريق نجد ما يمكننا تسميتها محكمة الكنبة "**Ḳnbt**" وهي محكمة صلح، تقوم بالتوفيق وتقريب وجهات النظر بين المتنازعين.

2. **الرؤية:** فإن فشلت محكمة الكنبة تلك في تحقيق التوافق ثم الصلح، يتم إحالة القضية إلى محكمة الرؤية "**rwyt**"، وهي محكمة (ابتدائية) تتلقى وتنظر وتحقق ثم تصدر الأحكام الإبتدائية الفاصلة في تلك القضايا والمنازعات.

3. **طنطا:** ولو كانت القضية الإبتدائية تلك بسبب منازعة زراعية فتحال إلى **طنطات "ṯntȝt"**، ومنها الاسم الحالي لمدينة "طنطا"، وهي محكمة متخصصة في منازعات الأراضي والأمور الزراعية.

4. **الإعادة:** فإن حدث أن لم يقبل الخصوم بالأحكام التي صدرت من تلك الدرجة الإبتدائية

فإنه يحق لهم (الإعادة) باللجوء إلى قاعة الإعادة، واسمها الإصطلاحي الحرفي هو: **حوت-عات** "**ḥwt-ʕ3t**" القاعة العظيمة، وهي الدرجة الأعلى الإستئنافية للأحكام, وكأن الإعادة تعظيم.

5. **النصوص**: ثم بعد استنفاذ طرق الطعن ودرجات التقاضي يمكن أيضًا للمتقاضين في حالات معينة، بتزكية من أمين النصوص الكاتب الملكي (في مقام الوزير) **sš nsw أن يُرفع** الأمر إلى هيئة تدقيق النصوص في القصر الملكي "**pr-nsw**" وهي هيئة ملكية (دستورية) تتشكل من مجلس مختلط يجمع بين ممثلي السلطتين الحاكمتين للبلاد، أي (الكهنة) و(النبلاء)، يمكنها أن تراجع وتنقض أو تؤيد تلك الأحكام السابق صدورها، ثم يصدق على أحكامها ويعتمدها الملك بنفسه!

• البرابي، أيضًا هي مع كل ذلك مؤسسة ضمير، هيئات دينية، قدمت للعالم أخلاطًا من المقدسين

والمقدسات، فلم يتعرف البشر على الـ"**nṯrw**" إلا من خلالهم، وحسب رؤيتهم، لقد وضحت البرابي الطقوس بل حددتها وقررتها في شكلها الأول الخام البكر، واليوم نرى أن أكثر طقوس العالم الدينية بل وحركات تحية الدخول في الصلاة، تكاد لا تخرج من عباءة تلك الطقوس التي أبدعتها مؤسسة البرابي، حيث كان يتم تأسيس الـ "بر-با" برعاية "**nṯr**" نذير مقدس، تصاغ له الطقوس، وتُقرأ وتوجه إليه التراتيل والترانيم، وعلى شرفه وبإسمه تُنشد الإبتهالات وتُنظم المواكب وتقام الإحتفالات، كما هو الحال الآن مع الأولياء الصالحين والقديسين الممجدين والأقطاب الصوفيين والزعماء الروحانيين، في الزمن الحديث.

هنا نستطيع أن نلخص محصلة ما سبق:

(1) بأن البرابي كانت مؤسسات لها وظائف عديدة في خدمة المجتمع، وأن المهمة الدينية ما هي إلا

واجهة لمهام أخرى متعددة، كما نخلص كذلك الى (2) أن الخطأ الشائع بإطلاق إسم "معبد" على الـ "بر-با"، بعيد كل البعد عن وظيفة أي معبد من الزمن التالي أو الحالي، لسبب بسيط وبديهي لمن يعلم، أن "البرابي" لم تكن مكانًا منتظمًا للصلاة وإستقبال العُباد المؤمنين، فالمصري القديم (المواطن غير المنتظم في سلك الكهانة) كان يُصلي ويبتهل في بيته أو في حقله أو ورشته أو محل عمله أيًا كان, أما الصلاة والطقوس في البرابي فكانت واحدة من مهام أولئك الـ "وعاب" العاملين فيها المتفرغين للأعمال المدنية والدينية (أي الكهنة!)، ولا يتوجه إليها -غير الكهنة- إلا في الأعياد والمناسبات.

البرابي، إذن، كانت هي الهيئة والمؤسسة الجامعة التي تعلم وتدرب وتُخرج وتُنظم المتخصصين في كل المجالات، وإلا فأين تمت التصميمات والرسومات الهندسية للمنشآت العمرانية؟ وكيف أُخذت

إختبارات وقياسات أرض مباني الأهرامات الشاهقة؟ والبرابي الضخمة؟ والآبار العميقة؟ والأنفاق الصاعدة والهابطة؟

يمكننا التأكيد بأن كل ما تركه لنا قدماء المصريين من آثار حضارية كان الفضل والبطولة الأولى فيها لمنظومة مؤسسة البرابي!

حقًا لقد كانت تلك المؤسسة تكاد تقوم بأدوار شبيهة بمؤسسات مجالس الوزراء والبرلمانات الحالية، بكافة مجالاتها الخدمية والحرفية والحقوقية، تقوم بدور خدمة وصيانة حقوق المجتمع في الزمن القديم، مهما ارتدت وتشكلت بالغطاء الديني، فإنها كانت تقوم بأدوار مدنية وفنية متعددة كما سبق البيان.

البرابي وإبداع الأساطير والطقوس

منظومة الوعاب، أي الكهنة، التي وجدت نفسها أمام مسئولية حراسة الضمير، الفردي والجمعي، والتي

استأثرت بمهمة إشاعة الفهم والوعي والاستيعاب لعناصر الطبيعة، بل يمكننا القول أيضًا التحريض على الإبداع والإختراع والإبتكار، بمهارات فذة أنتجت ما وصلنا ونراه اليوم من آثار عظيمة تملأ ربوع مصر، كما تملأ متاحف العالم، وكذلك أنتجت موسوعة ذهنية من الأفكار والأدبيات الغيبية المفسرة والحاكمة للوجود، تستنطق عناصر الطبيعة وتنشر إلهامها مقرونًا سواء بالدعم والبركات أو الرفض واللعنات، ليصبح لها التأثير القوي المباشر على الحياة الإجتماعية والسياسية، عبر الأجيال!

فلم تظهر الى الوجود طقوس وحركات وتمتمات الصلوات واشارات وكلمات التحيات، ونصوص وأنواع الصيام والصدقات (القرابين)، بل والحج نفسه، لم يعرف العالم أيًا من تلك الأساليب السلوكية التي أصبحت شعائر دينية قبل ظهورها -الثابت أثريًا- في مصر القديمة، ولذلك يسهل الآن لمن يقرأ

في علم "مقارنة الأديان"، أن يلمس كيف تطورت مبادئ الضمير (القواعد الأخلاقية) الذاتية الإختيارية، لتصبح قواعد (قانونية) سيادية ملزمة، تحكم العالم الآن من أدناه الى أقصاه، وأن يرى بوضوح كيف تشابهت كثير من طقوس شعائر ديانات الشرق والغرب، تشابهًا أو تماثلاً وفي بعض الأحيان تطابقًا تامًا مع أفكار وطقوس شعائر أُنتِّجت بإبداع وظهرت لأول مرة من خلال تلك النصوص التي سجلتها البرابي، إذ ظل المصري القديم يؤديها ويستنسخها آلاف السنين!

لذلك نجد أن أكثر حكايات أو أساطير العالم، يوجد لها أصولاً وجذورًا وتيمًا درامية مشتركة مع قصص تركها هؤلاء العظماء، خطتها يد الوعاب، والأرجح أيضًا أن أولئك الوعاب ليسوا فقط حفظة ونقلة تلك النصوص الأسطورية، بل إنها على الأرجح من إبداعاتهم الفردية والجماعية، فقد صورت بعض

النصوص ما يمكن أن نسميه مداولات العصف الذهني بين الوعاب (الكهنة)، تنتهي تلك المداولات بإقتراح لسرد خاتمة القصة المحكية لتكون أكثر قبولاً ومنطقية وموضوعية، بل كان ذلك يتم أيضًا بدون تلاقي مباشر، أي عبر الأماكن والأجيال، إذ أن كل جيل كان يُضيف الى القصة ويُغير فيها ويُجوّد محتواها، الى أن تصبح الرواية مُحكمة، ومثال ذلك أحداث الدراما المنفية التي تناولها بالبحث كثير من كُتاب المصريات، مستعينين بالقطع الأثرية الدالة على ذلك مثل حجر شباكا الموجود في المتحف البريطاني والمسمى "مؤلفات الأجداد"، والتي يعترف كاتبها في صُلب متن نصها بأنه قد نقل النص عن السابقين ثم أضاف إليه من عنده، وذلك حسب تعبير موسوعة مصر القديمة - سليم حسن/ الجزء الثامن عشر، وكذلك المثال الأشهر، ألا وهو الأسطورة الأوزيرية (ايزيس وأوزوريس) التي تبدلت وتعددت وتنوعت

صيغها بمرور الوقت وتعاقب الأجيال واختلاف الأماكن، إذ من الواضح أن كل جيل، بل كل مكان، كان قد ترك وطبع بأسلوبه الخاص، ولمسته الخاصة، أثرًا على تلك الصياغات والحكايات الأسطورية، المحكية والمكتوبة!

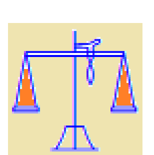
لقد سطر الوعاب كثير من الأفكار الدينية والإجتماعية والأدبية والعلمية، سجلوها هنا قبل أن تظهر لدى أي حضارة أو ديانة لاحقة، أتت بعدهم، سأذكر منها بعض الأمثلة:

- تلخيص نشأة الكون وتصور شكل الفضاء الخارجي، في قصة الأرض التي تعلوها سبع سموات، "خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا"، تلك التي صورها كتّاب طلعة النهار prt-m-hrw في هيئة سبع بقرات، مرصعة بالأفلاك أو ملتصقة بالنجوم والكواكب!
- وصف انفصال كوكب الأرض وسباحته في الفضاء، في قصة الخلق التي تحكي عن: (جب/

أمات)، التي تحكي أن الأرض والسماء كانا ملتصقين, محتضنين لبعضهما, ثم أمر "رع" بإنفصالهما، أو " كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا"، كما تم التعبير عن ذلك في لغة القرآن الكريم!

- فكرة صعود النتر (رع) ثم إقامته واستقراره وجلوسه على الكرسي، واستوائه على عرشه في السماء (قصة البقرة السماوية)، تلك التي عبر عنها سفر الملوك في الإنجيل: "ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع الى السماء"، كذلك كما وردت بتعبير من القرآن الكريم في سورة البقرة:: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ"!

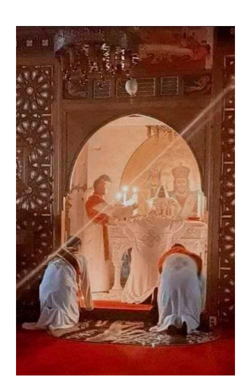
- لأول مرة يرى الوجود رسمة الميزان الذي يزن الأعمال في الحياة الآخرة، كما توزن الأشياء في الحياة الدنيا، الميزان "ميخات/ ميقات" تحركه وتضبطه يد الـ "اوزو" التي



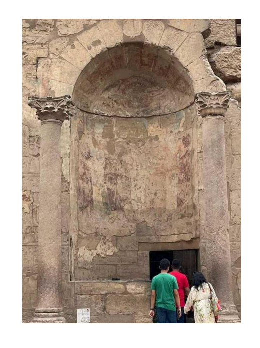
تصرف منها الفعل "وزن"، حيث الفكرة المبدعة أن يعرف كل إنسان قيمة حصاد أعماله كما يعرف قيمة

حصاد زرعه، موزونًا ومقدرًا بأفضل وسيلة يعرفها ويلمسها -حيث كان اختراع الميزان عجيبة العالم القديم- بل انه استخدم أو على الأقل شاهد تلك الوسيلة أثناء حياته، أي أنه يعرفها تمامًا ويطمئن إلى دقتها وحياديتها!

- فكرة **قدسو** "قدس الأقداس **ḏsrw**"، وهو مكان مخصوص مغلق بدون نوافذ في عمق البربا، يوضع به تمثال لد "نتر"، حيث يُفترض أن يتلقى الكاهن في ذلك المكان الوحي أو التعليمات المكلف بتبليغها أو تنفيذها، وكذلك يتوجه اليه أيضًا المؤمنون -من أماكنهم الخاصة- وكأنهم يتلمسون الجهة التي بها ذلك المكان المقدس كي يكونون في مواجهة أو مقابلة مباشرة مع الرب الذي يشرق بنوره كل صباح من جهة الشرق، تكررت الفكرة في صورة "خيمة الإجتماع" ومحراب



لفائف الشريعة لدى الكنيس اليهودي، وفي ما يُسمى: تجويف الشرقية (حنية بالجدار الشرقي) للكنائس القبطية، وكذلك كانت فكرة **القدسو** هي نفس فكرة تجويف المحراب (النصف دائري) أو فكرة وضع علامة تبين اتجاه القِبلة في حائط الإتجاه الشرقي الموجود في كل المساجد الإسلامية!



- فكرة "المذبح **dbḥt**"، وهي مائدة القرابين التي نراها بكثرة في البرابي، تلك التي يستقبلون عليها الهبات أو التبرعات والهدايا اللازمة للبربا من مأكولات ومشروبات وملابس وعطور وبخور وغير ذلك من ضرورات الإعاشة لمنظومة الوعاب، هي نفسها مائدة تلقي القرابين "مائدة خبز الوجوه" أو "زيفا شلايم" في الكنيس اليهودي، وهي

المذبح في الكنيسة المسيحية، وهي صندوق النذور في المقامات والمساجد الإسلامية!

- التطلع الى النجوم والسماء، والإعتقاد بأن ذلك هو مقر أرواح السابقين، وكذلك حيث مستقر الأرباب النترو المنذرين، وما ترتب على ذلك من أحلام الصعود الى السماوات والتجول بين النجوم وإجراء مقابلات مع أرواح الأسلاف ومع الكائنات المقدسة، وذلك كله بوسائل تعرفها الآن أدبيات العالم الأسطورية، كدرجات االسلالم والبساط السحري والكائن الخرافي "سفر" أو مركبة الشمس "بورك" التي تسافر بسرعة البرق، من الجذر المصري "**brḲ**" التي تحولت في قصص العبرانيين بالمخفنة الى كاروب وكاروبيم، وفي المعراج الزرادشتي وكذلك في قصص العرب المسلمين الى الـ "بوراق" الذي هو في رحلة الإسراء والمعراج،



لقد كانت رحلات الملك "ونيس" المسجلة بالحرف الهيروجليفي في هرمه الموجود بسقارة، هي المرة الأولى في تاريخ الكون التي يُذكر فيها صراحة صعود إنسان ما الى الفضاء بثلاث وسائل معروفة وقتها، وهي: (1) الصعود على درجات السلالم، أو (2) الجلوس على الحصيرة الطائرة (البساط السحري)، ثم (3) أعجوبة إرتقاء حيوان يجمع بين وجه ومنقار وجناحي الصقر "سوقر"، وجسد اللبؤة "تفنوت"، وذيل التمساح "سوبك"، والذي يأتي اسمه مكتوبًا بالحرف الهيروجليفي مرة بإسم كائن الـ "سفر sfr"، ومرة ثانية يُكتب بإسم كائن الـ "سفروت sfrt"، بينما لا يمكن أبدًا نسيان الوسيلة الربانية المذكورة هنا في فقرة الصعود الى السماء، أي صعود "رع" ممتطيًا "نوت" البقرة السماوية، في هيئة أول سفينة فضاء فـ

الوجود، تحمل العرش الملكي وتصعد به، بصحبة الهواء "شو" ورمز الخلود واللانهائية "حح"، مع ثمانية من الحاشية الملكية، كل اثنين منهم يدعمان قائمًا من القوائم الأربعة للبقرة السماوية، لذلك قد يكون هؤلاء الثمانية هم المقصودون في النص القرآني الكريم:

"وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ"!

- فكرة روح الميت التي يمكنها زيارة الأحياء، كما سبق الإشارة، حيث يمكن للروح أن تبقى طائرة بعد الموت، كي تتواصل مع عالم الأحياء، واسمها "با" في صورة طائر بوجه بشري، لم تظهر مع صورها وتجلياتها في أيٍ من ثقافات العالم القديم، قبل تسجيلها بالرسم والكتابة في النصوص المصرية!

- فكرة العالم الآخر، الذي ينتقل إليه الإنسان بعد الموت، ويأتي اسمها من اللغة المصرية القديمة بتصريفات تُقربها مما نعرفها به الآن، مثل: دار

"القرار"، ويوم "الحساب" و"المقر" و"اليمين" و"الدوام" و"الآخرة"، والغريب أن الديانة اليهودية في بداية ظهورها لم تكن تعرف أو تؤمن بأن الميت ينتقل من هذا العالم الحي إلى عالم آخر، بل كان حساب الإنسان عن أعماله ومعتقداته، بالثواب أو العقاب، يكون فقط في حياته الدنيا ومن خلال أبنائه وأهله بعد وفاته، حتى حدث أن انتقل بعض اليهود وتوظفوا في مكتبة الإسكندرية، خلال العصر البطلمي ثم عصر الإحتلال الروماني، في مهنة الكُتّاب والمترجمين من والى اللغة اليونانية، فأضافوا فكرة الحساب بعد الموت، التي ظهرت لديهم متأخرة من خلال النصوص الدينية اليهودية (التناخ)، وأصبح لديهم -لأول مرة- مدونات خاصة بما يحدث بعد الموت في العالم الآخر! حقًا مازالت فكرة استمرار الحياة بعد الموت, في عالم آخر, له قوانين طبيعية مختلفة عن قوانين الدنيا الطبيعية, لهو من أهم الأفكار التي

ساهمت في تنظيم الأخلاق, حيث عالم حياة الخلود التي تشترط للالتحاق بها الإلتزام الكامل بالطهارة والعدالة ويقظة الضمير, وقد كان ذلك هو القانون الحاكم لتصرفات الحكام والمحكومين في غالب فترات التاريخ المصري, لقد صنعوا بهذه المعتقدات حضارة منضبطة, وذلك من أسرار استمرار قوتها لأطول فترة في تاريخ الكون, كما أنها ما تزال -تلك القيم- من أهم ملامح شخصية المصري وهويته المتميزة!

- فكرة المُخلِّص الذي يأتي من الغيب، "المايتريا" عند البوذيين، و"المشيح" عند اليهود، و"المسيح" نفسه عند المسيحيين، أو الإمام الغائب عند الشيعة الذين يُلخصون فكرته في قصيد شعري:

لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يقدمه اللواء، يغيب فلا يُرى عنا زمانًا، برضوى عنده عسلٌ وماء"

هي نفس فكرة المهدي المنتظر عند السُنة، وكثير من ثقافات العالم الدينية في الهند وفارس عرفت أشكالاً

وألوانًا وصنوفًا من المخلصين الغائبين، إذ كانت بداية ظهور كل هذه الأفكار من تلك البرابي التي أنتجت النصوص الدينية التي تُبشر وتتحدث عن عودة حورس، الصقر السماوي، (حورس الآتي من الأفق) "حور-آختي"، الذي يأتي من عالم الغيب، مبشرين بقدومه فاردًا جناحيه محلقًا في السماء، لينتقم من السيئين الأشرار، منحازًا للطيبين الأخيار!

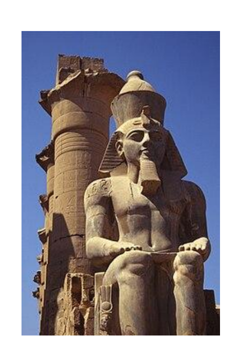
وهكذا يمكننا رواية "قصة الحضارة" من خلال سرد إنجازات البرابي العلمية والدينية والأدبية، ولن أكرر ما سبق وقدمته في كتب سابقة من شرح للويستكار بابيرس، أو بردية وستكار، وما بها من تشابهات، تكاد تكون حرفية، مع قصص إحياء الموتى وإبراء الأعمى وشق البحر وغير ذلك من قصص دينية وأسطورية، كُتبت في برديات ونصوص حجرية مصرية عديدة، وكان قد تدرب عليها أطفال

المصريين بكتابتها كنصوص إملائية وتعبيرية على قطع الأوستراكا الفخارية والحجرية، في مدارس ابتدائيات الـ "صبا" التي كانت موجودة داخل البرابي، قبل أن يعرفها العالم بآلاف السنين!

من مظاهر قوة مؤسسة البرابي

1. استئثارهم بالدور الإستشاري والدعم الروحي للملوك بصفة خاصة، والمؤسسة السياسية كلها من نبلاء وحكام أقاليم وقادة الجيش، بصفة عامة، طوال التاريخ المصري القديم، وحتى نهاية العصر البطلمي، وقد استمروا في أداء دورهم هذا على الأقل منذ اكتشافهم التسجيل والكتابة، وحتى زوال سطوتهم وتشريدهم في عصر الإحتلال الروماني البيزنطي المسيحي!
2. وضع قواعد للكتابة وتجريد رموز من الطبيعة، ظلت سارية ومعمول بها طوال آلاف السنين، بل

التزموا بلهجة مصرية واحدة، مهما تغير الحكام، ومهما اختلف مكان عاصمة الحكم، إذ من المنطقي -قديمًا وحديثًا- أن تختلف لهجة سكان العاصمة بإختلاف مكانها، وليست لغة ساكن طيبة، هي نفس لهجة ساكن منف في الجيزة أو أخت-أتون في المنيا أو إهناسيا في بني سويف أو اللشت في الفيوم أو صالحجر وبر-رعمسيس في الشرقية أو تب-نتر في سمنود أو أتريب في بنها أو الإسكندرية نفسها إذ



رغم تعدد واختلاف أماكن العواصم، التزم الكتّاب والنحاتين بلهجة واحدة، مهما ظهرت مصطلحات جديدة مختلفة، بما يدل على تأثير قوي للبرابي أدى لتوحيد طرق الكتّابة بلهجة واحدة من نفس اللغة، والتي هي بطبيعة الحال لغة واحدة مختلفة اللهجات أو اللكنات!

3.	ضبط معايير ورموز الفن بصورة لم تتكرر في أي ثقافة تالية، خلال تلك العصور والمراحل الزمنية الطويلة، فلنا أن نتصور اختلاف وتقلب المدارس الفنية الأوروبية بين الانطباعية والتكعيبية والسريالية والتعبيرية والتجريدية خلال ثلاثة أو أربعة قرون فقط، بينما طغت الرمزية المثالية على فنون الرسم والنحت والعمارة طوال الآلاف من سنين عصور التاريخ المصرى القديم، إذ يندر أن نجد نماذج تشذ عنها أو تمرد عليها، وكذلك في تصميم الملابس، صحيح أن التطور كان متأنيًا بطيئًا إنما الإلتزام بالقواعد كان ملزمًا قويًا، حتى في الموسيقى والغناء، وبصفة عامة كل الفنون، بما يؤكد أن مؤسسة البرابي كانت مؤسسة حديدية في ضبط الأداء الجماعي عبر الأجيال، ثم ما كان أن حدث نتيجة ذلك من تجانس بين المصريين يشهد عليه القاصي والداني، حتى ليظن بعض السائحين أن المصريين يشبهون بعضهم

البعض شكلاً وموضوعًا ومن ذلك تروى نوادر وقصص كثيرة منها أني سمعت القنصل الكوري يشتكي من أنه لا يستطيع التفريق بين المصريين من شدة شبههم ببعضهم!

4. تقديس الطبيعة وإستقراء ظواهرها وتفسيرها، ثم نقل تلك التفاسير وطرق التعامل معها، كان يتم عن طريق المتخصصين في منظومة البرابي، ثم اعتاد الناس ذلك، واعتمدوا عليه في حياتهم، وبمرور الوقت أصبح الكثير من المؤمنين في شتى أنحاء العالم إلى اليوم، لا يبرمون أمرًا ولا يعقدون عقدًا بل ولا يمارسون عملاً، إلا ويستقرئون ويستفتون رجال الدين فيما عملوه، أو فيما هم مقدمون عليه!

غلق البرابي وإيقاف الحج

يقرر أدولف أرمان في كتابه ديانة مصر القديمة:

"بقيت في العالم القديم جماعة هادئة متمسكة بالعقائد المصرية، وهي جماعة الفلاسفة الصوفيين (الهرمسيين)، الذين ظلوا حتى القرن السادس الميلادي يقومون -جهراً- بالتعليم في المراكز الثقافية الكبرى، إذ كانوا يجدون لذة وبهجة في كل ما كان ذا طابع صوفي، وفي كل ما يثير الغبطة والدهشة، فقد كان لا يمكن أن لا تثير مصر حماستهم، لقد كانت مصر بلداً مقدسًا، معابده مزودة بكل شئ، فيها من الكهنة ما لا يحصى عددهم، ممن يسهرون على أداء الطقوس جميعًا، وفيها المذابح لا تخبو نارها أبدًا، وقد علم المصريون العالم كله تقريباً عبادة الآلهة .. ولهذا كان هذا البلد المقدس المثل الأعلى للعالم"

النص مباشر وواضح لدى واحد من أهم الكتّاب الذين تناولوا بالبحث عقيدة المصري القديم، أنه حتى القرن السادس الميلادي، ورغم الإحتلال وانتشار ديانة أجنبية جديدة وفرض لغات رسمية أجنبية، ومنع الكتّابة بالحروف الوطنية، واتهام البرابي بالوثنية، ظلت مصر مقصدًا مقدسًا لجماعات من المؤمنين بالعقائد المصرية، ومثال ذلك الجماعات الهرمسية

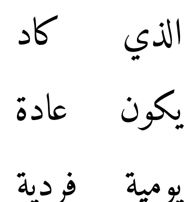
الصوفية من اليونان وأرجاء إمبراطورية الرومان، بما في ذلك العاصمة مدينة الإسكندرية وكذلك بعض المدن المصرية الأخرى!

القرن السادس الميلادي

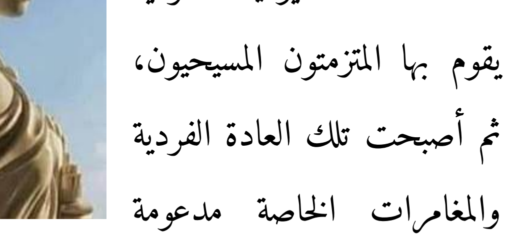
إذًا ظلت الديانة المصرية حاضرة بطقوس صلواتها، بأدعيتها ومواقيتها، وأعيادها المتعددة، وحجها الأبدي السنوي، كما ظلت بعض البرابي مفتوحة تؤدي دورها المؤسسي العلمي والتعليمي والإجتماعي والديني، كما ظل عدد ضخم من الكهنة المصريين يؤدون دورهم في خدمة المجتمع وتواصل الفكر الحضاري المصري، خلية نحل عاملة في مملكة الثقافة المصرية حتى القرن السادس الميلادي، فماذا حدث في ذلك القرن الحاسم؟

كانت الديانة المسيحية قد انتشرت وسادت في ربوع بلدان الإمبراطورية الرومانية، خلال القرن الثالث

الميلادي، وأصبحت هي الديانة المعترف بها، ثم يكاد القرن الرابع الميلادي أن يكون قرنًا مسيحيًا خالصًا، فيه أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية، الأمر الذي شجع المسيحيين على التباهي بديانتهم الجديدة أمام المصريين الذين ظلوا صامدين محافظين على عقائد وأفكار



آبائهم، ولم يقتصر الأمر على الفخر والمباهاة بل تعداه الى التحرش الذي كاد يكون عادة يومية فردية



يقوم بها المتزمتون المسيحيون، ثم أصبحت تلك العادة الفردية والمغامرات الخاصة مدعومة من الآباء الكهنة الراغبين في اكتساب الشعبية وإحراز النصر الديني وإظهار المعجزات الدينية في

بطولات مضمونة، ومثال ذلك ما حدث أن قام به بعض الآباء الكهنة السكندريين بصحبة عصابات من المسيحيين المتعصبين برعاية ودعم من بابا الإسكندرية المدعو ثيوفيلوس (385: 412م)، باقتحام السيرابيوم والمكتبات وعدد من البرابي المصرية السكندرية، وقاموا بتكسيرها وحرق الكتب، كما قتلوا في تلك الإقتحامات عدد كبير من الكهنة والفلاسفة بل والمصريين واليونانيين العاديين رواد البرابي والمكتبات، ثم بالغ في التعصب لهم وزايد عليهم بعض الولاة والقياصرة المسيحيين، فوصموا الديانات القديمة بالكفر والوثنية، ووصفوا البرابي بمعاقل الشياطين!

كذلك تم التضييق على معتنقي الديانات القديمة داخل أرجاء الإمبراطورية في مصر وروما واليونان، مثلما حدث في زمن الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني الذي حكم مع شقيقته المسيحية

المتعصبة بولكاريا (408: 416م)، حيث قُتلت الفيلسوفة الأفلاطونية السكندرية "هيباتيا" سحلاً وضربًا وتنكيلاً وتجريسًا وتجريدًا من ملابسها، حين قام من يمكن تسميتهم بـ "جيش الكنيسة" بجر هيباتيا من شعرها، ثم قاموا بنزع ملابسها وجرها عارية تماما بحبل ملفوف على يدها في شوارع الإسكندرية حتى تَسَلّخ جلدها، ثم إمعانا في تعذيبها، قاموا بسلخ الباقي من جلدها بالأصداف إلى أن صارت هيباتيا جثة هامدة، ثم ألقوها فوق كومة من الأخشاب وأشعلوا بها النيران، وكان تمام ذلك الحدث المفزع في اليوم التاسع من شهر مارس سنة 415 ميلادية، في عهد حكم ثيودوسيوس وبولكاريا المزدوج، وبتحريض منهما -أو تغاضي- لكيرلس بابا الإسكندرية الجديد، الذي ورث البطريركية من خاله البطرك ثيوفيلوس!

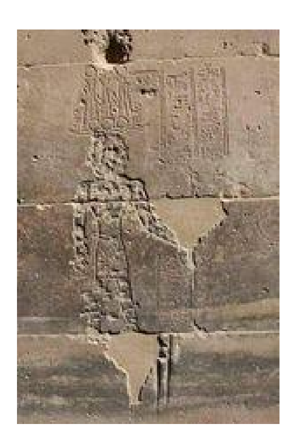
حيث ثبت قيام البابا كيرلس الأول المشهور بإسم عمود الدين (412: 444م)، بتحريض عصابات

المتطرفين والذين شكلوا ميليشيات طائفية مسلحة، حين قاموا بإتلاف العديد من المعابد اليونانية والمصرية، بعد وصفها ببيوت ومعاقل الشياطين، ثم تطويقًا للفتنة قررت السلطات الرومانية إغلاق العديد من البرابي في مدينة الإسكندرية، وكذلك في بعض المدن والضواحي والقرى الصغيرة، كما تم منع وحظر الكتابة بالخطين الوطنيين المصريين (أي الخط الهيروجليفي والخط الهيراطيقي)، لتقتصر الكتابة الرسمية فقط على الحروف اليونانية والحروف المطعمة بها المسماة الآن بالقبطية!



حيث الثابت أن آخر نص حجري وطني مصري موجود حتى وقتنا الحالي، هو الذي وجد مكتوبًا في بربا جزيرة فيلة بمدينة أسوان، سنة 396 ميلادية، بالحروف الهيروجليفية، ذلك النص المنسوب للكاهن "إسمت-أخوم" والذي يبدو أنه كتبه

قربانًا في ذكرى ميلاد أوزيريس، بينما توجد الآن برديات مكتوبة بالحروف الديموطيقية يستفاد من فحصها أن الشعب المصري -ولو سرًا- ظل يستخدم الكتابة الديموطيقية حتى منتصف القرن السادس حيث صدر المنع الكامل للكتابة بالحروف الوطنية المصرية كلها، أي الخط الهيروجليفي والخط الهيراطيقي والخط الديموطيقي!



ظل الأمر كذلك بين التضييق والمنع والتحرشات المتعددة لرموز الديانات والأفكار والخطوط الوطنية المصرية القديمة، طوال الفترة من القرن الرابع وحتى منتصف القرن السادس، ومن نافلة القول أن نرجع قليلاً الى زمن بعض الوقائع القديمة المخزية التي شجعت تلك الميليشيات الطائفية، منها ما كان قد

حدث في القرن الخامس، وبالتحديد في العام 404 ميلادية، في عهد الإمبراطور أركاديوس، حيث قام بعض الجنود بقطع الأرجل اليسرى لعدد من الحجاج المصريين الذين كانوا في طريقهم المعتاد لأداء مراسم الحج المصري وحضور الإحتفال السنوي بقيامة أوزيريس وذلك في قدس أقداسه (الأوزيريون) القائم في مدينة أبيدوس، وكانت حُجة هؤلاء الجنود المجرمون ادعائهم أن أولئك الحجاج أثناء مرورهم قد أهانوا رواد إحدى الكنائس!

ثم بمرور الوقت أصبح الأمر حاسمًا مكشوفًا بفجور السلطة وهجومها السافر على الديانة المصرية، حين اعتلى الإمبراطور البيزنطي "جستنيان الأول" سدة الحكم سنة 527 ميلادية، وقد كان حاكمًا مستبدًا في مستوى الحكم السياسي الداخلي، ومتعصباً دينياً مزايدًا على إيمان من سبقوه، لذلك كان عنيفًا في تعامله مع المذاهب الدينية المختلفة مع مذهبه، وكان

دمويًا مع الأديان القديمة وكهنتها ومعتنقيها، تدفعه وتحمسه وتحضه على ذلك زوجته التي اشتهرت بالمؤمرات والمكائد، الملكة "ثيودورا"، حيث صدر في عهدهما سنة 550 ميلادية، الأمر الصريح الوجوبي بإغلاق كافة معابد الديانات القديمة، في كل المدن المصرية، بعد حظرها ونعتها بـ "الوثنية"، ثم تنفيذًا لذلك أرتُكبت أفظع الجرائم، تلك التي حدثت في حق كهنة وحجاج مدينة "أبيدو"، إذ حدث أن "ثيودورا" هذه قبل زواجها من الإمبراطور، كانت تعمل ممثلة مسرحية، وكان عملها هذا مع والدها القبرصي في سيرك للإستعراض بألعاب الحيوانات والمسرحيات الصامتة الهزلية بمدينة الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية، ومن هنا تكونت لها عداوات قديمة مع عدد من قيادات الكهنة المصريين الذين كانوا يعارضون إيذاء وتعذيب الحيوانات في السيرك، يؤلمهم استخدام وتسخير الممثلين للحيوانات في

عروضهم الهزلية، كما كان لها ابن من علاقة غير شرعية، رفض الكهنة الإعتراف به، وكانت لها رغبة في إلحاق ذلك الابن بالبرابي المصرية، كي تتمكن من التفرغ لعملها وحياتها الخاصة، بالإضافة لرفض أولئك الكهنة المصريين الإعتراف بمكانة النساء العاملات في السيرك والمساخر والمسرحيات الهزلية ومساواتهم بالنساء العاملات في البرابي المنضمات للسلك الكهنوتي، فما أن حازت سلطة الحكم إلا وبادرت بالإنتقام من جميع أعدائها الشخصيين، وبدأت الإنتقام وتسوية حساباتها القديمة بالكهنة المصريين، متعللة بالمشاعر الدينة المسيحية، حيث قامت الكتائب العسكرية البيزنطية



بتعليمات مباشرة من الملكة ثيودورا بإغلاق ما تبقى من البرابي المصرية في كل المدن والقرى والجزر

النيلية مثل بربا إيزيس بأسوان، كما أوقفوا ومنعوا طقوس الحج الأبدي، منعًا نهائيًا باتًا، ونفذوا منعهم هذا بأن قاموا بقطع أرجل الحجاج المتوجهين لأداء طقوس الحج في مدينة أبيدوس، قطعًا دمويًا حقيقيًا وليس مجازيًا أو إعتباريًا، كما يحدث الآن من التعبير به للتخويف والترهيب أحيانًا، وكان القطع هنا كاملاً للقدمين الإثنتين، وليس القدم اليسرى فقط مثلما حدث في الوقائع الإنتقائية التي كانت في زمن سلفهم الإمبراطور أركاديوس، كما سبق وذكرنا!

هنا سيطر الخوف، وساد الرعب، وغادرت السكينة أرضنا المقدسة، واضطرب نظام الماعت الذي حرصت تلك البرابي على العناية به لضمان استقرار وتوازن النظامين السياسي والاجتماعي، حيث أُغلقت البرابي، في جميع أرض الكانة، إغلاقًا تامًا، واحتلها الجنود وجعلوها ثكنات عسكرية ومتاريس فترة من الزمن لضمان عدم عودة الكهنة الذين تم

تسريحهم وتشردت أسرهم، ثم خلف الجنود في سكن البرابي أسراب من المتشردين والمتسولين والرعاة، ومالبثوا برهة حتى وجدها رجال الدين المسيحي فرصة للتمكين وإظهار عجائب ومعجزات الدين الجديد، اغتنموها لفرض الثقافة الجديدة، ومن ذلك نرى الآن في أطلال البرابي آثار تكسير أنوف التماثيل وآثار أدخنة الحرق بل وختم الحوائط وإدعاء تعميدها بشعار الدين الجديد، توثقها حتى هذه اللحظة كتابات من المتعصبين المسيحيين نقشوها بحروف الكتابة اليونانية القبطية فوق النقوش المصرية القديمة، باعتبارها تعميد وتطهير للحوائط التي روجوا أنها كانت معاقل الشياطين برسومات وكتابات الشياطين، ويمكن للزائر الآن في الألفية الثالثة أن يشاهد بوضوح ما بقي من آثار كل تلك الجرائم!

المهم أنه نتيجة ذلك وحال غلق البرابي وما نتج عنه من صرف عشرات الآلاف من الكهنة والعاملين في

البرابي في كل المدن المصرية، بات الأمر اختياريًا لهم - وهم رجال علم وفكر وثقافة ولا شأن لهم بالمقاومة المسلحة- بين الإستسلام وقبول الأوضاع الجديدة أو قطع الأقدام والتجريس أو التشريد مع أسرهم، حيث تشردت بالفعل أعداد كبيرة منهم هاربين حاملين أسرار علومهم ودقائق تفاصيل طقوسهم، مختبئين في جحور وكهوف ومغارات سلاسل الجبال الممتدة على ضفتي النيل الشرقية والغربية، أو متوارين ومتواصلين في الخفاء بين جموع شعبهم، حيث ثبت أنه كان لمجموعات عديدة منهم أدوارًا مهمة في تكوين الطوائف والطرق السرية، بل وتطوير وإبتكار الشعائر والطقوس والألحان والقراءات في الديانات والمذاهب الجديدة، التي أصبحت سائدة خلال القرون التالية لتلك الحادثة، إذ من سخريات الأقدار أن يكون ذلك القرن (السادس) المسيحي الحاسم لصالح انتشار المسيحية

هو أيضًا القرن الأخير لهيمنتها المنفردة، إذ ما لبث أن أتت نهايته بقرن جديد ودين جديد، قرن جديد هو القرن السابع، الذي تمخض عن ديانة أخرى جديدة من سلسلة الأديان الآسيوية، أتت من أعماق بادية الصحراء التي كان قدماء المصريين يطلقون عليها إسم الصحراء الخاصة "خاصت ḫȝst"، وهي التي نعرفها الآن بإسم شبه الجزيرة العربية، أتت تلك الديانة الآسيوية المحمدية الإبراهيمية كي تهز عروش الإمبراطوريتين الفارسية المانوية والبيزنطية المسيحية، ثم يصل الأمر أن تقتطع من أملاك وشعوب الإمبراطوريتين، وما انتصف القرن السابع حتى كان البدوي المسلم عمرو بن العاص وجنوده القادمون من عشائر (الخاصة) شبه الجزيرة العربية، يطردون فلول الرومان ويسيطرون على مدن وقرى مصر جميعها، ثم أصبحت المسلوبات والغنائم والجزي المصرية تحملها القوافل الى "المدينة" بدلاً من "روما" و"بيزنطة"!

نعم لقد كانت الحوادث متسارعة، كما رتبت الأقدار مستقبلاً جديدًا بأدوارٍ ووظائف جديدة للكهنة الفارين الهاربين محملين بأسرار علوم مصر القديمة، حيث أصبحوا هم المرشدين الرواد والأعلام في المذاهب والطوائف المسيحية العديدة، كذلك أصبحوا هم الأقطاب في صوفية وقراءات وكتابات الدين الخاصي المحمدي الجديد!

بينما يسجل الرحالة والكتاب القدماء أن الإستسلام الواقعي كان للعدد الأكبر من الكهنة ذوي الرتب الأقل في السلم الكهنوتي المصري القديم، الذين فضلوا الإنضواء في ركاب المنظومة الخدمية للدين المسيحي، التي وجدوها -أو جعلوها- لم تبتعد كثيرًا في صياغتها المصرية عن ما كانوا يعتنقونه ويمارسونه داخل البرابي من الأفكار والطقوس الدينية المصرية الأصيلة، ثم صار الأمر الى تعيين أولئك المقيمين

-طوعًا أو إلزامًا وقسرًا- خدمًا في كنائس الدين المعتمد للدولة!

وهنا بالتحديد، وعلى وجه الجزم واليقين في سنة 550 ميلادية، انتهت رسميًا وشعبيًا مهمة مؤسسة البرابي المصرية، كما مُنعت تمامًا أي كتابة بالحروف الوطنية، وكذلك توقفت ممارسة طقوس أقدم رحلة حج ديني في الوجود، أي طقوس الحج الأبدي إلى مدينة أبيدوس، كما سلف القول!

رغم كل ذلك، ومع ذلك كله، فإنه بلا شك أن كميةً كبيرة من تلك الطقوس والأفكار (البرباوية) قد اقتحمت جدران الكنائس، كما اقتحمت بعد ذلك جدران وساحات الجوامع، حيث استقرت بهما عديد من قيم البناء العمراني والثقافي المصري القديم، الذي ورثه الحرفيون والصناع، رصدها كثير من الكُتاب والخبراء والمهندسين، ثم ما لبث القرن الميلادي السادس، الحزين بالنسبة للبرابي المصرية،

أن تلاه القرن السابع الذي أصبح ولا شك أيضًا قرنًا حزينًا بالنسبة للكنائس المصرية، دور العبادة المسيحية، التي زالت سلطتها، وبدأ دورها يخسر رويدًا رويدا، إلى أن انتقلت من مكانة ديانة السلطة والنفوذ والأغلبية، حيث تقلص دورها، وتوارت قليلاً الى أن اكتفت بمقعد ديانة الأقلية، بعدما زاحمتها الجوامع، دور العبادة الجديدة (الإسلامية)، التي أصبحت منذ ذلك الوقت والى الآن هي ديانة السلطة والنفوذ والأغلبية!

أهم طقوس الحج الباقية

وصلنا من طقوس الحج الأبدي أشياء كثيرة، استفادت منها الثقافة الإنسانية، تلك الطقوس ظهرت وتطورت، وأُتيحت لها الفرصة أن تستقر وتنضج خلال تلك المناسبة المقدسة، مثل (1) عروض التمثيل المسرحي الشعبي التي كانت تُمارس

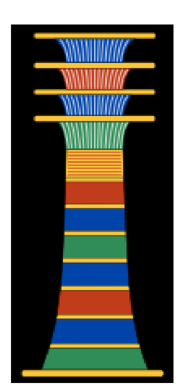
بقداسة وجدية خلال أيام العبط والنجر في موسم الحج، ومثل (2) التدريب الشعبي على فنون النحت، كما كان يحدث جماعياً، حيث الإبداع المباشر لصناعة التماثيل في يوم السعي "مسختيو"، ومثل (3) دروس التدريب العملي على العمل الجماعي التطوعي، و(4) نماذج رد الجميل لأصحاب الهمة والفضل، ذلك وغيره سنراه ونقرأه خلال "يوميات الحج"، إلا أن هناك طقوس مازالت باقية، مثل (5) "الطواف" و(6) "المأثورات" المرتلة المنغمة، و(7) "وضع الزهور" و(8) "زراعة الأشجار" بجوار المقابر، و(9) الإحتفال بـ "شجرة الكريسماس"، كلها تحتاج الى مزيد من العرض بل والغوص في أعماق أصولها:

- **الطواف**

تدلنا طقوس عيد الـ "حب-سد" على واحد من أقدم جذور طقوس الحج في مصر



القديمة، حيث نقوش الفخار والأختام والصلايات التذكارية والبطاقات العاجية، المحفوظة بالمتاحف المصرية والأجنبية، من عصر نقادة في الألف الرابعة والخامسة قبل الميلاد، تبدو قرائن وأدلة مباشرة تفيد معرفة وممارسة طقوس الحب-سد، والتي هي طقوس ثلاثينية، تهدف الى ضخ الحيوية في الملك وإعادته لفورة الشباب في أوج صحته، أي فترة العمر الثلاثيني، حيث يصل المحتفل لهذه الغاية بممارسة طقوس مختلفة، إنما بداية تلك الطقوس كانت بمحاولات التواصل مع الأسلاف في مقرهم بصحبة أوزير، وذلك عن طريق الطواف حول قبورهم، ثم رفع عمود رمزي يُمثل تمام حدوث عملية التواصل والنقل!



حين تأسست عاصمة سياسية جديدة في الشمال، استلهم ملوك الدولة القديمة أو استنسخوا

منشئات العاصمة الدينية القديمة "أبدو"، حيث يُعتقد أن أطلال شونة النبيذ في أبيدوس كانت هي الأصل المعماري الذي قام ايمحتب بنقل تصاميمه ثم تم تنفيذه في مصطبة هرم سقارة المدرج ومبانيه وأسواره وبواباته، بخامات حجرية أكثر ملائمة، كذلك انتقل طقس الـ "حب-سد" مع الملك في مدينة منف، وصار طقسًا وعيدًا مستقلاً، لم يتبق منه إلا طقسة رفع عمود الـ "جد"، التي نعرفها، ولكنه مازال مُلهمًا للحالمين بأكسير صحة ولياقة الشباب والخلود البدني في كل الثقافات، بل إن صورته الحديثة هي ما يعرف الآن بالمنتجعات الصحية!

- **المأثورات المرتلة المنغمة**

ارتبطت طقوس الحج المصري الأبدي بالتقرير بأبدية نهوض أوزير، إذ كان الحجاج يرددون مأثورة "أوزير أنستي"، والتي أصلها من اللغة المصرية القديمة wsr

anst وتعني لقد استقر أو استوى أوزير على عرشه، فكان الحجاج يرددون هذه المقولة المأثورة مع أنفسهم، كما يقولونها لبعضهم، ويرد على ذلك من يسمعها بقوله: "أريس أنست" ars anst أي حقيقة لقد استقر واستوى على عرشه، ويبدو أن تلك المقولة المأثورة قد استمرت وتواصلت مع التراث المصري المسيحي في هتاف الفرح بقيامة المسيح "اخرستوس"، بالقول "اخرستوس انستي/ أليسوس انستي"، وهي كلمات من أصل مصري وليست يونانية كما هو شائع، ومن نفس المقولة المأثورة مازال المصريون الشعبيون يرددون منها تحية الضيف بالقول "آنست"!

كذلك ردد الحجاج الأبديون مقولة "الجد دايم" R ḏD DM أي سيبقى عمود جد رمز أوزيريس باقيًا مقيمًا دائمًا حارسًا راعيًا، وهو ما تواصل معه أيضًا المصريون في وعيهم الى وقت قريب، إذ كانوا يرددون في الجنازة ذلك القول المأثور عن أجدادهم:

"الله يا دايم، إنتا الدايم"، وهكذا كانت للمصريين مأثوراتهم التي يرددونها في مناسبة الحج، تمامًا كما يردد الحجاج المسلمون مأثورات مثل "لبيك اللهم لبيك" و"الله أكبر كبيرا"!

- **زراعة الأشجار والزهور وشجرة الميلاد**

كان الهدف من الحج الى موطن الآباء والأجداد الأولين، والى مقام رأس أوزير، حيث مقر استقرار الكا والبا الخاصين به، من خلال شجرة يزرعها الحجاج في "عيد شجرة أوزير" لتحيا به النفس "كا"، وتقف عليها الروح "با"، بل وتستنشق عطر الزهور التي يضعها الحجاج، مع غرس شجرة كبيرة!

استمر العالم كله -الى الآن- في زراعة الأشجار بجوار المقابر ويضع عليها الزهور، كما استمر غرس الشجرة الكبيرة في صورة شجرة الميلاد أو شجرة الكريسماس بعيدها الذي يبدو الإحتفال به في كل دول العالم،

وكأنه تراث كوني، وليس فقط تقليد احتفالي مسيحي!

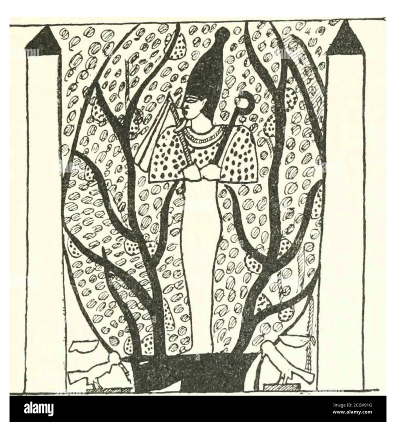
وها هو عرض لـ "عيد شجرة أوزير" كما ورد في الطبعة الثانية من كتابي "الأعياد" اعتمادًا على رواية المؤرخ اليوناني الروماني بلوتارك، وهي للعلم رواية متأخرة، مليئة بالعناصر الأجنبية البعيدة عن أحداث القصة المصرية الأصلية، وواضح أن كاتبها قد تعامل معها كعمل روائي إبداعي بغض النظر عن التقيد بالوقائع التاريخية، إذ كل ما يجمع تلك الرواية بالقصة القديمة هو التيمة الدرامية للحدث، مع الأبطال الرئيسيين، رغم ذلك فإننا مضطرون لروايتها لأنها تكاد تكون الرواية الوحيدة المترابطة، كما تكاد تكون هي الرواية الأسهل في البيان والإيضاح:

• عيد شجرة أوزير

في منتصف شهر "كيهك" من كل سنة، حيث أيام الإنقلاب الشتوي، التي تمثل فلكيًا أقصر أيام النهار في السنة، كان المصريون يحتفلون بذكرى قيامة النتر "أوزير"، أي عودته للحياة من مرقده في شكل شجرة، حيث تُزرع الشجرة الكبيرة في وسط ميدان الاحتفال، لتكون محور التقاء وملاذ للحائرين.

ورد في إحدى صور أسطورة إست وأوزير -إيزيس وأوزيريس-(47)، من رواية المؤرخ اليوناني بلوتارخ، أن "أوزير" كان ربًا للخير، ورمزًا للخصوبة، ورث مُلك مصر عن أبيه "جب" وجده "شو"، بالوراثة عن أول ملوك الأرض الجد "أتوم رع"، وكان قد تزوج من "است"، التي كانت زوجة خصبة، وزواجها مثمرًا، بينما شقيقتها نبت-حوت "نفتيس"، التي تزوجت من "سوت" نذير الشراسة والغضب

والعنف، كان عقيمًا لا يُنجب، فدبت الغيرة في نفس "سوت" من أخيه "أوزير"، وأراد أن يمكر به، فدبر مؤامرة لإغتياله، حيث أقام حفلاً كبيرًا دعا فيه شقيقه وعدد كبير من أعوانه، وكان قد أعد لهذا الغرض تابوتًا بديعًا مكسوًا بالذهب، مناسبًا لحجم الملك الشاب "أوزير"، ثم زعم "سوت" في الحفل أن ذلك التابوت سوف يقدم هدية منه لمن يتبين أن التابوت مطابقًا لمقاييس جسده، وهكذا جرب الحاضرون الدخول في التابوت واحدًا تلو الآخر حتى جاء الدور على "أوزير"، فما أن رقد في التابوت حتى أُغلق عليه الغطاء الحجري الثقيل، ثم حمله أتباع سوت وألقوا به في النيل!



خاضت است/ إيزيس رحلة شاقة للبحث عن جسد وتابوت زوجها، وتتبعت النهر المقدس الذي أوصلتها مياهه حتى مياه "واج-ور" الأخضر العظيم (البحر المتوسط)، حتى شواطئ مدينة بيبلوس "لبنان"، فوجدت جثة زوجها قد احتوتها شجرة الطرفاء الكبيرة بأوراقها الضخمة، وأن ملكة المدينة "عشتروت" قد أعجبتها الشجرة فأمرت بقطعها وإحضارها لتزيين القصر، احتالت النترة "است" بإظهار مواهبها كـ "ورت-حكاو" أي عظيمة السحر، حتى حققت مرادها وعادت بجثة زوجها إلى مصر داخل الشجرة، فعاد معها الخير، ونبتت المزروعات التي كانت جافة، وأزهرت الفروع، وأينعت الورود الذابلة.

كتب بلوتارخ قصته تلك من وحي ما وصله من روايات عن تلك الأسطورة القديمة، مختلطة بمعارف عصره وثقافته اليونانية الرومانية في القرن الأول

الميلادي، أي بعد ما لايقل عن سبعة آلاف سنة من تلك الأحداث التي يُرجح أنها كانت وحدثت لشخصيات بشرية ووقائع حقيقية، أضاف إليها مرور الوقت وتنوع وتعدد الرواة قداسة خيالية أسطورية!

بعيدًا عن تلك الرواية اليونانية الرومانية، تشير قوائم الأعياد في بربا الملك رمسيس الثالث بمدينة هابو إلى أن الإحتفالات بـ "أوزير الشجرة" كانت تتم في اليوم الخامس عشر منتصف الشهر الرابع -كيهك- من فصل الفيضان "أخت"، وذلك وفقًا للقوائم التي ترجمها ونشرها العالم الألماني شوت سيجفريد.

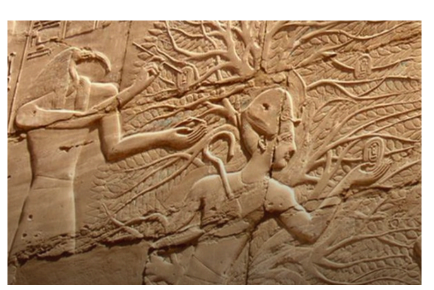
ونلاحظ كما سيأتي، أن ذلك التاريخ هو تاريخ بداية موسم الحج إلى أبيدوس، الممتد لمدة أربعة عشر يومًا، أي أن طقوس الحج تبدأ بعيد شجرة أوزير.



في كل عام، لآلاف السنين المتوالية، كان المصريون يحتفلون في العاصمة المقدسة

"أبيدو" بعيد شجرة أوزير، أمام مقام دفن رأسه الشريف، فيأتون بأكثر الأشجار إخضرارًا لإقامتها وزرعها في وسط ميدان كبير، يتجمع فيه الرجال والنساء، الأطفال والصبايا والشباب، اليتامى والفقراء والضعفاء، إنتظارًا للهدايا والعطايا، حيث يتلقى الكهنة الكتبة طلباتهم وأمنياتهم ويسجلونها على الشقافات -أوستراكا- والبرديات، ويضعونها تحت قدمي -أوزير الشجرة- فيحققها لهم الكهنة المختصون ونواب الملك، قدر الإمكان.

في كتاب "فجر الضمير" -طبعة مكتبة الأسرة 1999- يقول عالم المصريات الكبير "بريستد" معلقًا على رواية عودة است "إيزيس" بالشجرة التي احتوت جثة زوجها أوزير "أوزيريس":



"عاد هذا الرب إلى الحياة مرة أخرى متقمصًا جسم شجرة خضراء، ولذا صار رمز

رجوع الحياة التي تنبعث ثانية بعد الموت، شجرة خضراء، ونشأ عن ذلك الحادث عيد جميل يقام كل سنة تذكرة لتلك المناسبة، وذلك برفع شجرة مقتلعة وغرسها في الأرض في محفل عظيم، وكانت تُجمل فتُغطى بالأوراق، وتلك الشجرة هي التي انحدرت إلينا في صورة العيد الذي لا نزال نقيمه ونزينه بالإبتهاج والأغاني والموسيقى والرقص".

كذلك يقول الكاتب المؤرخ "وليم نظير" في كتابه القيم "العادات المصرية القديمة":

".. آمن المصريون أن أوزير هو القوة التي تمدهم بالحياة، وتعطيهم القوت في هذه الدنيا، وأنه هو الأرض السوداء التي تخرج منها الحياة المخضرة، فرسموه وقد خرجت سنابل الحبوب تنبت من جسده، كما رمزوا للحياة المتجددة بشجرة خضراء، وكانوا يقيمون في كل سنة حفلاً كبيراً ينصبون فيه شجرة يزرعونها ويزينونها بالحلي ويكسونها كما يفعل الناس اليوم بشجرة عيد الميلاد!".

شجرة أوزير ليست فقط خاصة برب الزراعة والشعر والموسيقى، الأسمر الجميل أوزير، المؤتمن على مستقبل البشر في العالم الآخر، إنما هي شجرة الحياة.

تشير "آنا رويز" في كتابها "روح مصر القديمة"، إلى أسطورة مصرية قديمة تقوم فيها "سيشات" ربة الكتابة والحساب والعمارة وحفظ السجلات، بتسجيل أسماء وأعمال ملوك مصر على جذع شجرة الحياة بغرض منحهم الخلود، وتذكير الأجيال الجديدة بما فعل السابقون من أعمال، وما مر بهم من تجارب.

جدير بالذكر أن ذلك الجزء من الأسطورة، قد تكرر في نماذج قصصية أسطورية في الثقافتين البابلية والإغريقية، فقد أسماها البابليين(48) أيضًا "شجرة الحياة"، وكانوا يعتقدون بأن تلك الشجرة تحمل أوراق العمر في رأس كل سنة، فمن اخضرت ورقته كتبت له الحياة، ومن ذبلت ورقته، أو سقطت، فهو مريض أو ميت في يوم من أيام تلك السنة.

كما يضيف "وليم نظير":

"... سرت عادة الإحتفال بالشجرة في العالم، من الشرق إلى الغرب، فأخذوا يحتفلون بالشجرة في عيد الميلاد، يختارونها من بين الأشجار التي تحتفظ بخضرتها طوال السنة مثل أشجار السرو والصنوبر".

صار الإحتفال بعيد شجرة أوزير الذي تحول إلى شجرة العطاء، إحتفالاً دوليًا يجلب البهجة، يتم إحياؤه شعبيًا ورسميًا في الكثير من بلدان العالم، وإن كان العالم الغربي هو الأكثر إحتفاءًا بذلك العيد، حيث تقترن احتفالاته بمناسبات دينية وثقافية خاصة بكل بلد، بينما يظل النشاط الخيري -بين الأهل والعائلة الواحدة- متجسدًا في تنفيذ الأمنيات للكبار والصغار، الذين يترقبون الهدايا مع الشجرة.

شجرة أوزير أُطلق عليها عديد من الأسماء، تدور كلها حول الجذر اللغوي "بنر"، بتصريفات تعني كل شجرة

كبيرة، قد تعني شجرة النخيل، كما تعني كل شجرة مثمرة بثمار حلوه مثل الجميز، وكذلك كل شئ حلو، كما أنها أصبحت من أسماء مدينة أوزيريس أي أبيدوس نفسها، فهي "بنارا" ومنها الفنارة، وهي "با-نو-را" ومنها البنورة أي الشئ العالي المضئ، تمامًا كما نُطلقه الآن على النجف والفازات الزجاجية، ويبدو أن زينة شجرة أوزير المضيئة قد أثرت في كل ذلك من تصريفات لغتنا المصرية الحديثة.

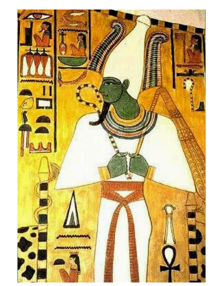
والحقيقة أن الشجرة المحددة في النصوص المصرية القديمة، كانت شجرة الـ "إشد" التي مثلت شخصية أتوم رع في كتاب طلوع النهار (prt-m-hrw)، ومثلت شخصية أوزير، في الإحتفال بذكرى قيامته!

والأقرب من الأشجار المصرية الحالية لأوصاف شجرة الـ "إشد" هذه هي شجرة الـ "برساء"، المزروع بعضًا منها في شوارع القاهرة والجيزة، وكذلك حديقة

الأورمان، حيث كانت ثمارها الحمراء هي الأصل المنطقي لألوان زينة شجرة الميلاد الحالية!

عيد شجرة أوزير كان هو أول طقوس الحج وأول أيامه، إلا أنه -إضافة لذلك- كان عيدًا عامًا لكل من يحجون، وكذلك لكل من لم يحالفهم الحظ للقيام برحلة الحج، انتقل من العاصمة الدينية الى العواصم السياسية، وصار المصريون يزرعون الأشجار في الجبانات، ويحتفلون بالشجرة رمز أوزير، الراعي والحامي طالما ظلت تلك الأوراق والبراعم الخضراء، بل إنتقلت طقوس ذلك العيد المبهج إلى ثقافات عديدة في أرجاء المعمورة، ليحتفل ويسعد به العالم كله في صور احتفالية متعددة ومختلفة إلى يومنا هذا.

- **أصل كلمة "حج"**



يفضل كتّابٌ كثيرون تأويل كلمة "حج" تصريف الجذر المصري المأخوذ من إسم نوع

من الغزال الأبيض، القريب اسمه من هذا النطق Hḏ "حدچ"، بمعنى الشئ الأبيض، أو نسبة الى لون الملابس الكتّانية البيضاء التي كان يرتديها الحجاج الأبديين، أو لأنها هي نفس الأردية التي تكفن فيها المومياوات، المحفوظة الى الآن، وهي نفسها تلك الملابس الصيفية الخفيفة التي تبدو بها صور المتوفين المرسومة في مقابرهم، باعتبارها ملابس عالم البقاء والدوام، ملابس البقاء الصيفي الدافئ في حضرة الشمس "رع"، أو من الرداء الأبيض المشهور به الشكل الأوزيري، أو أن كل ذلك قد ساهم في ترسيخ كلمة "حج" بلفظها المنطوق الحالي، سواء في اللغة المصرية الحديثة أو اللغة العربية!

بينما من نفس الجذر بنفس النطق نجد مخصص الفضة، أي أنه أيضًا يدل على معنى معدن الفضة بإعتبار لونه الفضي، أو الفاتح الأبيض مجازًا!

كما يتوافق التصريف مع نطق كلمة عصا الـ "حق" أو الـ "حقا" وفقًا لنطق القواميس الإصطلاحي!

ربما تكون كل تلك الجذور اللغوية وما ارتبط بها من معاني مرافقة لطقوس الحج قد ساهمت في رسوخ كلمة "حج" وربطها بذلك الطقس الديني الأهم، إلا أن الثابت هو وجود جذور لغوية أكثر حضورًا وإرتباطًا مباشرًا بطقوس الحج، مثل (1) الجذر اللغوي "حجي" الدال على الأرض التي يتجمع فيها الحجاج، و(2) الجذر اللغوي "حج" الذي يعني الصلاة والتوسل، وكذلك (3) الجذر اللغوي "حج" الذي يؤكد أن القيام بطقوس الحج يمنح الشعور بالسعادة!

الحج، أرض للتجمع في مدينة أبيدوس

المزيد من البحث عن أصل كلمة "حج" يوصلنا الى كلمة "حجي" بالجيم المصرية الجافة بمعنى أرض المعركة!

ḥegi [hieroglyphs], Rev. 11, 171, place for fighting ; Copt. ϩωκ.

وقد وصِفت بذلك الوصف قطعة الأرض التي كان يتجمع فيها الحجاج داخل مدينتهم القديمة "أبيدو" حيث يقومون بتنفيذ عرض مسرحي واقعي، معركة وهمية اعتبارية تمثل صراع وجهاد أنصار أوزير في سبيل إعلاء قيم الحق والخير والجمال!

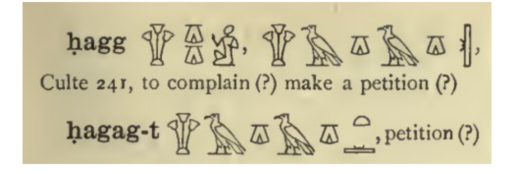
حول ذلك الطقس الذي ينطلق فيه الحجاج المصريون القادرون من كافة الأرجاء والنواحي، للقيام برحلة -تطول وتقصر- متوجهون إلى حيث الأرض التي يتجمع فيها الحجاج "حجي" للمشاركة في المهرجان الكبير في مدينة أبيدوس!

أرض الـ "حجي" هذه هي قطعة أرض كبيرة في سفح جبال أبيدو، محاطة بالأشجار، كانت مخصصة مكانًا لممارسة طقوس الحج، إذًا إن أرض التجمع

تلك اسمها من اللغة المصرية القديمة المكتوبة بالحرف الهيروجليفي: "حجي" قريبة في حروف نطقها القديم من نفس نطقها الحالي باللفظ والمعنى!

وهكذا نصل الى جذور لغوية مطابقة لنطق كلمة الحج، مؤدية لنفس الوظيفة أو الطقوس القديمة التي ظل المصريون يمارسونها لآلاف السنين!

الحج، صلاة وتوسل



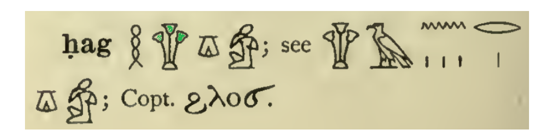
ولم يتوقف تصريف الجذر اللغوي "حج" عند هذه الوظيفة، أي وصف أرض التجمع لإحياء طقوس الحج فقط، بل طال الجذر "حج" أيضًا تلك الطقوس نفسها التي يؤديها الحجاج، حيث تبين أن اسم طقوس

الصلوات والأدعية والإبتهالات والتوسلات أثناء القيام بالحج، هي نفسها "حج":

Hg "حاج" أي صلاة توسل وطلب، وكان يوصف المصلين المتوسلين في مدينة أبيدوس بنفس الإسم: "حجاج"، أي بذات الوصف والشكل الحالي لمن يؤدون مناسك الحج في مكة والمدينة، ولابد أن للمصريين دور في تعميم ذلك المصطلح الديني الشائع الآن عند عموم المسلمين!

الحج سعادة وفرح

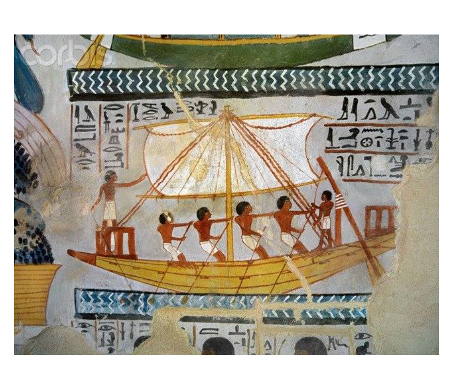
ثم تتجمع كل تلك المعاني السابق عرضها والمرتبطة بنطق كلمة "حج"، في كلمة جديدة، أو جذر جديد, قد يظن القارئ لأول مرة أن معناها بعيد عن ما يرمي إليه اللفظ "حج"!


ḥag ; see ; Copt. ϩⲗⲟϭ.

لكنها ليست ببعيدة، بل أراها قريبة ومباشرة الدلالة، فيما تنتهي وتؤول إليه رحلة الحج من معاني السعادة التي يشعر بها الحجاج!

دلائل أثرية قديمة

آثار رحلة الحج إلى أبيدوس عديدة ومتنوعة، ومن أقدمها كنز أثري مكتشف سنة 1992، عبارة عن عدد أربعة عشر سفينة، طول كل منها 28 متر، وعرضها مترين، تم ربط ألواحها الخشبية بحبال من البردي، مدهونة بلون أصفر عازل للمياه، وكان يُعتقد أن تلك السفن تخص آخر ملوك الأسرة الثانية "خع-سخم-وي"، ولكن الكشوف الأثرية الأحدث



أثبتت أن عمرها يزيد عن ذلك الزمن بمئات السنين، وأن تلك السفن الملكية الأربعة عشر ثبت أنها كانت مخصصة للرحلات الملكية اليومية بنفس عدد أيام الحج الأربعة عشر، ثم دفنت المراكب لتكون مع الملك في رحلة العالم الآخر، حتى يستطيع الإستمرار في أداء طقوس الحج بعد مفارقة الحياة الدنيا.

لقد سعت أرواح المصريين للوصول الى مدينة أبيدوس، اختصارًا للطريق، حيث يمكن للأرواح هنا أن تنضم الى مملكة أوزير وتحظى بالخلود مباشرة!

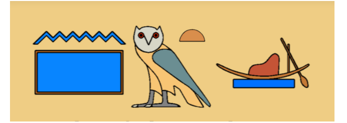
دلائل أثرية عديدة تشير الى ممارسة المصريين لطقوس الحج في مدينة أبيدوس، بأدلة عديدة من اللقى الأثرية والمقابر والبرابي والموانئ والساحات وتجهيزات الحج الموجودة منذ الدولة العتيقة والدولة القديمة، بل ودول ما قبل الأسرات!

يوميات الحج

أولًا: الحج المصري الأبدي حقيقة لغوية وأثرية

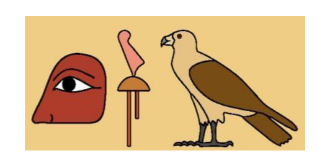
كما سبق القول عن تعدد الأدلة والقرائن الأثرية التي وثقت طقوس الحج الى "أبيدو"، أي "أبيدوس" بنطقها الحالي، منها صلايات ونخار وأختام عاجية من عصر ما قبل الأسرات، كذلك منها التقارير المالية الخاصة بـ "اخر-نفرت" مسئول الخزانة (وزير المالية) في عهد الملك سنوسرت الثالث، والتي توضح آثاره تلك أوجه الإنفاق في صورة القيود المحاسبية التي تحتوي بنود الصرف على طقوس موسم الحج، حيث يتضح من قراءة تلك التقارير (فواتير) عدد الأيام والتوقيت الزمني الذي تم فيه وخلاله إنفاق المواد والمبالغ المصروفة من خزينة الدولة أثناء ممارسة طقوس الحج الأبدي!

كذلك يشير ياروسلاف تشرني في كتاب "الديانة المصرية القديمة"، الى أن اللوحة الخاصة بتقارير "أخر-نفرت"، توضح أن مهمته الأساسية أنه مبعوث من الملك سنوسرت لتنظيم أمور الحج، كما توضح كذلك أنه شهد بنفسه موكب المسرحية الأوزيرية



يتقدمه تمثال فاتح الطريق "وب-واوت" ثم مركب أوزير المسماة "نشمت"، ثم أنه شهد ما تم من تقسيم بعض الحجاج الحضور الى فريقين تمثيليين متصارعين، فريق منهم يمثل أنصار النتر أوزير والآخر يمثل أنصار النتر "سوت"!

ويواصل "تشيرني" مضيفًا بأن استشهاد "أوزير" كان في مكان قريب من مدينة "أبيدوس"، حيث ضاحية اسمها "نديت"، على ضفة النهر، وكذلك تم بعثه وقيامته في نفس المدينة، ومعلوم أن تلك المدينة كانت



مقر النتر الرئيسي للمدينة المقدسة، الذي تقمص أوزير دوره، وهو النتر "خنتي-يامنتي" أول الغربيين، جندي اليمين، الممثل الأقدم لعالم الغرب والبقاء والدوام!

بينما يكتب وليم نظير في كتابه القيم "العادات المصرية بين الأمس واليوم":

" كانت مدينة أبيدوس (العرابة المدفونة) من أكبر عواصم الدين في مصر، تخيل القوم فيها قبر أوزيريس يحجون إليه ويطوفون من حوله"

وفي كتابه "history of Egypt" المعروف بإسم "تاريخ المشرق" يعرض جاستون ماسبيرو عدد من الصور المكتشفة بواسطته وكذلك بواسطة سلفه في إدارة المتحف المصري "أوجست ماريت" تلك الصور التي تمثل مراكب الحجاج، التي كان الميت يرسمها في مقبرته، يظهر



فيها مرتديًا لفائف "وزرة" من الكتّان الأبيض واقفًا بين الساعين للحج، دليل على أنه قد أوفى بوعده وحقق حلم حياته بالحج إلى أبيدوس حيث مقام أوزيريس!

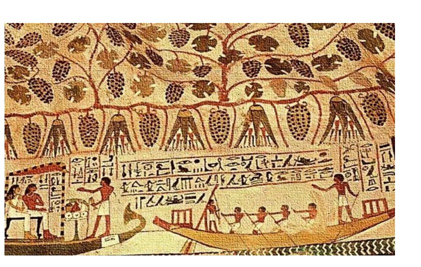
كما أن من ألطف المناظر التي تصور طقوس الحج تلك المنقوشة في طيبة من مقبرة عمدة المدينة "سن-نفر" في عصر الملك أمنحتب الثاني، حيث توضح نصوص تلك المقبرة ذات الرقم الأثري (TT96) الرحلة التي يفتخر المتوفى بقيامه بها (رحلة الحج)، حيث يضعها في مقدمة أعماله الصالحة.

على هذا المنوال وذاك النحو تتوالى الأدلة وتتعدد الوثائق في عبارات ونصوص متفرقة عديدة يرددها المتوفون للمباهاة والفخر بأن من أعمالهم الصالحة أنهم قد نالوا ما يحلم به الأبرار, حيث تمكنوا من القيام برحلة الحج الأبدية، وممارسة طقوسها!

ثانيًا: وقت ومدة الحج الأبدي

تُغطي طقوس موسم الحج قرابة كامل أيام النصف الثاني من شهر كيهك، وبالتحديد أربعة عشر يومًا من يوم 15 : 28 كيهك (24 ديسمبر : 6 يناير في السنوات العادية، ومن 25 ديسمبر: 7 يناير في السنة الكبيسة)، ثم يقضي الحجيج اليومين الأخيرين من الشهر المبارك (كيهك) في توديع بعضهم وتوثيق معارفهم والإستعداد لرحلة العودة من الحج، والرجوع الى منازلهم وحياتهم المعتادة.

بينما نرى تقريرًا موضحًا للموعد المدون كتاريخ بعث وقيامة النتر أوزير



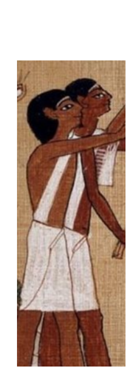
في كتاب معجم الحضارة المصرية- مكتبة الأسرة ص 40 كالآتي:

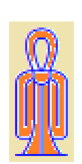
"كانت المملكة المصرية كلها تترقب موعد بعث وقيامة أوزيريس في شهر كيهك وهو الشهر الرابع من التقويم المصري القديم (التقويم القبطي)، فتقام أهم الطقوس الدينية سراً في أبهاء المعبد (البربا) المقفلة، غير أنه من المؤكد أن إعلان ميلاد (مولد) ذلك الرب من جديد، كان فرصة لإقامة أفراح عامة عظيمة"!

ويبدو أن تلك الشهادة من محرري المعجم، كانت وصفًا لاستمرار الإحتفال سرًا رغم غلق البرابي!

ثالثًا: هيئة الحجاج

يتوافد الحجيج (رجال ونساء وأطفال) من كافة مدن وقرى مصر بالقوارب النيلية أو مشياً في إتجاه مدينة أبيدوس، حيث مقام دفن رأس أول الشهداء، وحيث مقر (النفس) روحه المستقرة (كا) و(الروح) روحه الأثيرية(با)، أي الـ "كا-با"، يطوفون حولها بمجرد وصولهم إليها، في أردية كتانية



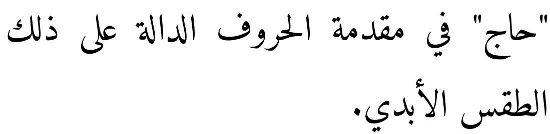


بيضاء، شدات **"šdy / šdw"** ملفوفة بعناية حول الخصر، مثبتة بالحزام الإيزيسي، المسمى حزام التيت **"tit"**، وعلى الأكتاف وشاحات **"šȝḥw / sȝḥw"** حاملين أو متأبطين فروع شتلات أشجار كي يزرعونها بجوار مقام الرأس والروح الشريف!

رابعًا: الحج باقة ورد لكل أوزير

ليس الأوزير هو النتر المعروف بإسم أوزوريس فقط، بل إن كل متوفي صالح نجح وتأهل لحياة الخلود بعد المحاكمة، هو أوزير، أي أصبح أوزير، متقمصًا حياة رب الرحمة، وحرفيًا تعني كلمة "الأوزير" المرحوم، كما تستخدم ترجمة لها الآن بقول المرحوم فلان أو المرحومة فلانة، وهي كلمة تعني شيئين، أن موضوع الحديث هو عن شخص متوفى أولاُ، وأنه كان صالحًا ثانيًا، كما يمكننا ملاحظة باقة الورد التي تعبر عن الحرف الأول من كلمة

"حاج" في مقدمة الحروف الدالة على ذلك
الطقس الأبدي.



معلوم أن الكاتب المصري القديم كان يختار
من بين رموز الطبيعة الحرف الذي يقترب من
معنى الكلمة المكتوبة، فقد كان بإمكانه التعبير
عن حرف الحاء هنا بشكل الحبل، إلا أنه فضل
التعبير بتلك العلامة النباتية التي تمثل باقة زهور!
من ذلك وغيره يمكننا عرض أجندة أو نتيجة
يوميات الحج المصري الأبدي، على النحو التالي:

اليوم الأول والثاني والثالث: زرع الأشجار

يبدأ الموسم بعيد "أوزير الشجرة"، كما سبق الذكر،
وأمام المقام الأوزيري يزرع الكهنة شجرة كبيرة، من
الأنواع دائمة الخضرة، ثابتة الأوراق، بينما يحرص
كل حاج على إحضار شتلة أو فرع صالح للزراعة،
وكانت فروع أشجار الصفصاف كمثال، يزرعونها حول

المثوى (المقام) هدية لروح أوزيريس، ورحمة على أرواح أمواتهم، آملين أن يتمتعوا بالحياة الى جوار أوزير من خلال حياة أرواحهم في تلك الأشجار.

• حيث يقضي الحجاج الثلاثة أيام الأولى من موسم الحج، أي أيام 15 و16 و17 من شهر كيهك، في القيام بطقوس "عيد شجرة أوزير" -كما سبق- ثم في العناية بزراعة ورعاية شتلات أشجارهم بما يضمن لها البقاء والخضرة الدائمة، أي أن الأيام الثلاثة الأولى من أيام الحج، كانت كلها مخصصة لإجراءات طقوس عيد شجرة أوزير.

اليوم الرابع: يوم النذرية

بعد الإنتهاء من الثلاثة أيام التي هي مدة طقوس يوم الشجرة مباشرة، أي في يوم 18 كيهك، يأتي يوم النذور، يعني يوم الوفاء بالنذور الموعود بتقديمها، وهي الهدايا والإلتزامات

التي يقوم بها ويقدمها الإنسان بنفس راضية طالما تحقق له ما أراده، فيلتزم بالوفاء بما اشترطه على نفسه، ويكون ذلك أثناء موسم الحج في اليوم المخصص بإسم المقدسات المنذرات "نتريت"!

والأدق لو يكون النطق "نذريت/ نذرية - ندريت/ ندرية"، إذ أنه من المعاني القريبة لكلمة المقدس "نتر" هو المنطوق الصوتي: "نذر"، ومنه تأتي تصريفات ناذر ونذير ومنذر ومنذور، ،ومنه أيضًا بالتصريف المصري الحديث: نادر وندر ومندر ومندور، وبالتالي يكون الوفاء بالنذر (الندر) هو قربان تقوم بتصريفه في جهات الخير عدد من كاهنات الربات المنذرات!

وقد يتساءل سائل هنا لماذا تكون أمانة توجيه وتصريف النذور في أبواب وجهات الخير، موجهة فقط للربات النذيرات (ممثلات في كاهنات)، ومن اختصاصهن دون غيرهم من الكهنة الرجال ممثلي الأرباب المنذرين؟

وربما تأتي الإجابة عن هذا السؤال بسؤال آخر:

- لماذا نُفضل -حتى الآن- إيداع الأمانات لدى أقاربنا من الأخوات والعمات والخالات؟

كما قد تأتي الإجابة على نفس السؤال من التاريخ القانوني للمصري القديم، حيث ثبت أن الوصية كانت تُنفذ بواسطة الأخت الكبيرة، وكذلك الميراث المشترك أو التركة الشائعة كانت أيضًا تُترك في عهدة وأمانة الأخت الكبيرة حتى يكبر الصغير وحتى يبلغ القاصر سن الرشد واكتمال الإرادة!

اليوم الخامس والسادس والسابع: العبْط والنجر

خلال الثلاثة أيام التالية، أي أيام 19 و20 و21 من شهر كيهك، يقوم الحجاج باستحضار أحداث التاريخ الأوزيري، وذلك بأداء طقوس تمثيل المسرحية الأوزيرية، وهي من أكثر الطقوس متعة وإثارة، حيث يقوم الكهنة المنظمين للمناسك بتكوين

وتدريب فريقين من كل مجموعة، كل فريق منهم يكون من بلد واحد، ثم يتبادلون أدوار أبطال الأسطورة الأوزيرية، خاصة المحاكمة وما فيها من تقديم حجج كل فريق وإبداء وجهة نظره في الدراما الأوزيرية الشهيرة، ففريق أنصار أوزير يُعدِدون أفضاله فـ نشر قيم الطيبة والإحترام والعدالة والعمل والإنتاج، وتعليم الموسيقى والزراعة وعصر العنب وغير ذلك من إبداعات فترة الحكم الأوزيرية لتأسيس ووضع قواعد مبادئ الحضارة، فضلاً عن حُسنه وكمال خلقته وجمال أخلاقه، فلم يكن خليق به ما حدث من خيانة وغدر من أقرب الناس إليه أخيه ونائبه "سوت"، بينما الفريق الممثل للنتر "سوت" يبرز قوته وقدراته القتالية وصولاته في الصحاري والبراري، ثم أنه لم يقم بما قام به من تقطيع جسد أخيه، إلا بسبب علاقة الأخير الخاطئة مع زوجته، حين غاب وعيه سكرانًا من آثار شراب

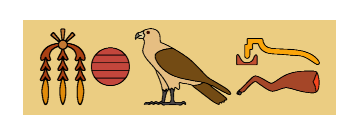
عصير العنب، وكان نتيجة ذلك إنجابه منها النتر "أنوبي"!

تحتدم المناقشات والمرافعات بين الفريقين، حتى تنتهي المسرحية عادة بمعركة رمزية (تحطيب بالاشتباك "عبط"، حيث يتبادل فيها الفريقان ضربات ونقرات العصي "نجر"، بين ممثلي دور أنصار النذير "سوت" وممثلي دور أنصار النذير "أوزير" وابنه "حور"، أي أنها معركة تمثيلية واشتباك تخيلي بواسطة فنون لعبة التحطيب، درس سنوي مجاني في فنون احترام الآخر، وممارسة لحق الإنسان في التجربة والخطأ، بل تلقين غير مباشر عن ضرورة احترام الإختلاف، بل ضرورته وأهمية التنوع اللازم لإثراء الحياة!

ولا نتعجب كثيرًا حين نعلم أن المقابل اللغوي من اللغة المصرية القديمة للتعبير عن فن تمثيل الطقوس الجنائزية هو الجذر "عبَط" بحركة أو فتحة مع حرف

الباء، بينما نجد نفس الجذر "عبْط" بسكون أو تسكين الباء، يدل على الاشتباك ومحاولات الإستحواذ التي هي الموضوع في معركة التحطيب!
الفصول السبعة لتلك المسرحية الأوزيرية عن التمثيل الدرامي والمعارك الوهمية محفوظة بعناية على جداريات معبد أدفو، لمن يريد استثمارها دراميًا وتعليميًا، وقد شرحها العالم الكبير محسن لطفي السيد في كتابه الهام "أساطير معبد أدفو".

اليوم الثامن: يوم السعي: مسختيو



ثم يأتي يوم السعي، وهو يوم 22 من شهر كيهك، وهو اليوم الذي ينشغل فيه الحجاج بطقوس تقليد إيزيس في بحثها بالحرث والنبش والتنقيب والتقليب في أرجاء الأرض عن أجزاء الجسد الشريف، يمثل الحجاج فيه عملية العثور على أجزاء

مقلدة من الجسد الشريف في طقسة "مسختيو"، التي تصرفت منها كلمة "مساخيط" وصفًا لـ التماثيل المقلدة، حيث يأتي الحجاج من البلد المدفون فيه اليد اليمنى -مثلاً- فيقولون لقد بحثنا وفتشنا حتى وجدنا اليد اليمنى للشهيد، وتركناها في أمان يرعاها أهلنا حتى نعود إليهم ونشاركهم ذلك، وهكذا كل بلد من البلاد الثلاثة عشر أو الأقاليم الموزعة عليهم -دفنًا- أجزاء الجسد الأوزيري، لأن كل جزء تم دفنة في إقليم (محافظة أو ولاية)، وهنا ترد عليهم وتجيبهم المسئولة المختصة بذلك، وهي كاهنة ترتدي رداء الآخرة الأبيض (تتقمص شخصية إيزيس) ترحب بهم أن حفظوا الأمانة وأعلنوا عنها وجاهروا بها، لإثبات حق صاحب الوديعة، ثم توصيهم بمواصلة العناية بما لديهم من أمانة حتى يحين الوقت ويأتي أوان جمع أجزاء الجسد كلها، وهو زمن عودة الروح.

طقس تمثيلي ديني في ظاهره، إنما هو طقس باطني رمزي، فحواه ضرورة الإتحاد والعمل الجماعي، ويهدف إلى إيصال رسالة وحدة الجسد المصري، يكمل كل الآخر!

اليوم التاسع: عشاء المزويت (مزواد)

يعقب يوم السعي أو الحرث والتنقيب، يوم 23 من شهر كيهك، وهو يوم للراحة ينتهي بوليمة مسائية، عشاء مخصوص، يمثل المطبخ المصري منذ آلاف السنين، تقدمه كاهنات الربات الحاميات المنذرات، في طقسة العشاء المقدس المسماة "م-زويت" ويمكن نطقها "مزود" و"مزويات" ومنها الزاد والمزودة والزوادة التي ما زال ينطقها الفلاحين وصفًا لوجبات أكلاتهم في أثناء العمل في الحقول بعيدًا عن منازلهم.

تفننت الكاهنات المزوادات المختصات في تقديم العشاء الأبدي، بأكلات أو وجبات ومطبوخات شهية، يظل الحجاج يتذكرون أصنافها ولذائذ طعمها حين يعودون لبلدانهم، وأعتقد أن من هنا كانت بداية المطبخ المصري الجماعي، المتميز بتجانس وتشابه وصفاته بين أرجاء البلاد، والذي تطورت اضافاته وأصنافه بمرور السنوات وتوالي ليالي المزواد في كل حجة عبر آلاف السنين تضمنت أيضًا عشرات الليالي والأعياد, برعاية نفس الكاهنات المزوادات!

اليوم العاشر: يوم الهدايا الحبية

يوم 24 من شهر كيهك، هو يوم لتقديم هدايا القرابين، يقدمها الحجاج الى الكاهنات والكهنة في صورة حبوب أو أقمشة أو طيور أو حتى الأضحيات، وهي طقسة اسمها "حبيت" والأدق لو نطقها "حبية"، كما نعبر الآن في

لغتنا المصرية الحديثة عن المنافسات الحبية، أي التي بلا مقابل، فهي هدايا ودية يقدمها الحجاج بنفوس راضية محبة لـ الكاهنات والكهنة الذين يديرون وينظمون ويرتبون ويدربون ويعلمون ويعالجون وينظفون خدمة للحجاج، ثم لأنهم متفرغون -تطوعًا واحترافًا- للتجهيز والتمهيد والإستعداد لذلك الموسم الأبدي طوال سنة كاملة.

اليوم الحادي عشر: يوم الطواف

يوم 25 من شهر كيهك، هو يوم الطواف حول مقام أوزير، وهو وعد قطعه الصقر حورس على نفسه، أن يظل وفيًا راعيًا حافظًا حارسًا لمقام أبيه، يقوم به الحجاج بالنيابة عن "حور" في طقسة الطواف المسماة



"بغر-إنبو"، وهذا الطقس هو من بقايا الـ "حب-سد"، سابق الإشارة والبحث، الذي كان يأمل الطائف فيه

أن يقتبس فيضًا من قوة الأسلاف، حيث يستمد منهم الطاقة بتجديد ذكراهم، إذ الطواف هو التلامس والإحتكاك المسموح، حيث لاحظ الإنسان الأول مبكرًا أن الإحتكاك والتلامس يولد الطاقة!

الطواف إذًا هو طاقة يستمدها الطائف من المكان وذكراه القديمة، وهو قسم وتجديد العهد والإتفاق الإعتاري بين الطائف وصاحب المقام المطوف به، وهو خلوة يختلي فيها الطائف بمحبوبه أوزير، وقد كانت تَّسمع أثناء الطواف أصوات الشاكين والمناجين الذين يجاهرون بأحزانهم ويعلنون آلامهم بين الجموع وكأنهم في غرف مغلقة عليهم لا يعنيهم الجمع في شئ، وربما لهذا السبب الأخير أرى علاقة بين الطواف الأوزيري وما بقي من طقوس الديانة الأوزيرية في طقوس "الزار"!

لقد كان طقس الطواف حول المقام الأوزيري، بمثابة "حب-سد" شعبي، يؤدي لنتيجة قريبة من

نتيجة الحب-سد باهظة التكاليف، والتي لا يقدر عليها إلا الملوك وقادة الجيوش، ثم تأتي النصوص لتسجل سعادة أحد حجاج أبيدوس بشعوره بالتحسن وعودة صحته لما كانت عليه أيام الشباب بمجرد ممارسته لطقوس الطواف الأوزيري!

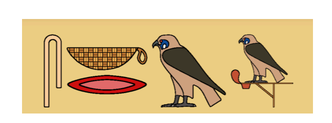
تبادلت الأدوار بين عدد من جذور اللغة المصرية القديمة، ومنها ما يبين من الجذر" "تاف/ طاف" بمعنى الإشارة للمكان، والجدر "رف/ لاف" بمعنا الإشارة حول المكان، ومن احدى الترجمات التى توضح معنى الإندماج في المكان، يبدو أن التصريف قد أنتج المصطلح الدال على الـ "طواف"، أي التجول ومن ذلك قول الشاعر الكبير عبد الفتاح مصطفى، بصوت كوكب الشرق أم كلثوم:

طوف في جنة ربنا، في بلادنا واتفرج وشوف!

ولن يكون الأمر غريباً إذاً أن نرى جموع من السائحين والزائرين يقومون بتقليد بعض الأهالي

والمرشدين السياحيين حين يطوفون حول بعض التماثيل أو المسلات، أو كما يحدث الآن حرفيًا حول تمثال الجعران "خبر" المواجه للبحيرة المقدسة في برابي الكرنك بمدينة الأقصر!

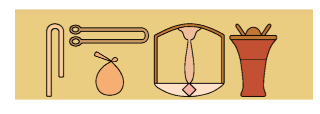
اليوم الثاني عشر: يوم الزكر



يوم 26 كيهك، مهرجان سوكر أو بتاح سوكر، وهو أقنوم يمثل امتداد أو تجلي لأقنوم مقدس يمثل أوزير وحور، حيث الاحتفال بنشوة النصر، ونجاح حورس في معاركه القضائية والحربية، على منافسه الخطير، عدوه وعدو والده، وفي هذا المهرجان يتبادل الحجاج التهاني بإنتصار الخير وظهور الحق، وأنهم عائدون توًا من صحبة حور، وكأنهم يتوارثون الإنخراط في جيوش الخير، ثم ينتظمون صفوفًا، منتشين منغمسين ذائبين، يتهجدون أناشيد وتراتيل النصر، يتمايلون تطويحًا بين

جهة اليمين وجهة اليسار في رقصات السُكر (الزكر)، التي هي دورات والتفاتات رأس الصقر (ذات اليمين وذات الشمال)، تمامًا كما مازالت "الزكرات" تجري في حضرات الموالد الصوفية الآن.

اليوم الثالث عشر: يوم التطيب



يوم 27 كيهك هو يوم للنظافة الشخصية بالتطهر بمياه النهر العظيم، والتطيب والتعطر بالزيوت والعطور المقدسة، التي يناولها الكهنة للحجاج في طقسة اسمها من اللغة المصرية القديمة "سطي-حب" أي حفلة الطيب والعطور ووضع الزهور.

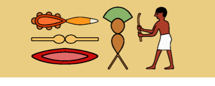
فعل التطييب هو ثقافة نهرية، لارتباطها بوفرة المياه، لذلك نجد جذورها اللغوية موجودة بكثرة في اللغة المصرية القديمة.

- حيث الجذر اللغوي المصري "نتف" بمعنا الغمر والترطيب بالمياه، قد إشتُقت منه تصريفات: "نضف" و"تنضيف" و"نضافة" حسب النطق الحالي للمصريين، وكذلك كلمات من تصريفات مثل: "نظف" و"تنظيف" و"نظافة" و"منظفات" حسب الكتابة الرسمية ونطق غيرهم من شعوب المناطق المجاورة.

- أما الجذر اللغوي "ستف/ شتف" فمعناه صب المياه للغسل والنظافة، وهو نفس الإشتقاق الذي مازال المصريون يستخدمونه في كلامهم من اللغة المصرية الحديثة كلمات مثل: "شطف" و"شاطف" و"تشطيف" و"شطفة" و"متشطفة" و"مشطوف" و"شطّافة" أي الأداة التي يتم بها التشطيف.

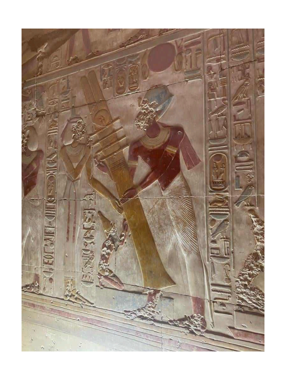
- كذلك الجذر اللغوي المصري "توهر" بمعنى النظافة المباشرة، قد إشتُق

منه تصريف كلمات مثل: "طهر" و"تطهير" و"طهارة"، حسب النطق الحالي للمصريين وغيرهم!



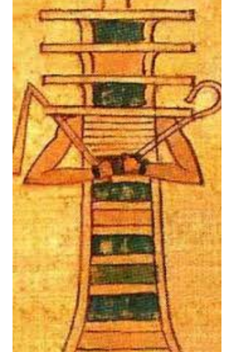
- بينما الجذر اللغوي المصري "غسر/ غسل"، حيث تُبيح قواعد علم الصرف تبادل اللام والراء، معناه قد ارتبط بالإزالة، أي إزالة ما قد يعلق بالجسم من أوساخ، وقد إشتقت من ذلك الجذر اللغوي تصريفات عديدة مثل: الـ "غسل" والـ "تغسيل" والـ "غسالة" أي أداة الغسيل و"المغسلة" وجمعها "مغاسل".

اليوم الرابع عشر والأخير: رفع عمود الجد



يوم 28 كيهك ختام موسم الحج يُرفع فيه عمود الـ "جد" ، وهو طقس احتفالي ختامي رمزي ، يمثل قيامة أوزير، حيث يكون العمود على شكل

مومياء رأسها هو عمود الـ "جد"، من الخشب الملفوف جيداً بالحبال ، ثم يتوجه الملك مع الحاشية إلى مكان العمود ليقوم برفعه على شكل الراية في الميدان، كما يُرفع الآن عمود الخيمة في الموالد، أو كما هو رفع العلم في طابور الصباح، مع صيحات وصلاصل وطبول من الحاضرين ، نجد المزيد من تفاصيل ذلك الطقس عند "أدولف إرمان" في كتابه القيم "مصر والحياة المصرية في العصور القديمة"، كما نجد في الفصل -155- من كتاب طلوع النهار (بر-م-هرو) إشارة إلى أن رفع عمود الجد يمنح جسد المتوفى القوة والدوام (الخلود)، وفي حالة ممارسة هذا الطقس كختام لمراسم الحج فإن ذلك يعني ضمان القوة والخلود للوطن.



رفع عمود الـ "جد" هو طقس عملي يهدف إلى تحقيق بهجة الإحساس بالأمان، والإطمئنان للمستقبل في

رعاية أوزير، لأن الرب حي، ولأن الرب موجود.

لذلك فإن من يقوم برفع عمود الـ "جد" يفتخر بذلك آملاً في أفضال يذكرها له أوزير وسيكافأه عنها حتمًا، كما توضح ذلك النصوص 1 و 3 من الفصل 155:

" ...... أنا الذي يقف خلف عمود الـ "جد" (يسنده حتى يعتدل) في يوم صد الأهوال والكوارث، أنا فداؤك يا أوزير".

كذلك في السطر 4 يقول النص:

"دعاء خاص بعمود الـ "جد" المصنوع من الذهب الخالص -لون جسد رع-، كلمات يتلوها الأوزير المرحوم "آني" المبرور:

إنهض يا واجع القلب (الخطاب لجثة المتوفى)، أنت تشرق لنفسك بنفسك.

يا واجع القلب، ضع نفسك على جانبك الأيمن لكي أحضر.

يا متعب القلب، سأجلب لك عمود الجد من الذهب الخالص لتبتهج به وتعود سالماً عفياً".

الصلايات التذكارية والأختام العاجية من حضارات ما قبل زمن الأسرات، التي كانت معروضة في الصالة المواجهة لباب المتحف المصري بالقاهرة، تحوي نماذج رسوم عمود الجد، بما يعني أنه طقس بالغ القِدم، من زمن ما قبل الأسرات.



إذًا كانت طقوس رفع عمود الجد في نهاية أيام موسم الحج، بمثابة الحفل الختامي للموسم المقدس، يحضره الملك والنبلاء وقادة الجيوش في الصباح!

إذ تنتقل الحاشية الملكية إلى ميدان كبير مواجه لمقام رأس أوزير، وقد وضع به عمود خشبي كبير، ملفوفة ساقه بالحبال وشريط من القماش الأبيض، على هيئة مومياء، بينما جزئه العلوي ظاهر منه الشكل المميز لـ عمود الـ جد ذو الأذرع الأربعة تنتهي برأس خشبي، تلك الأذرع يحسبها أكثر الكُتّاب تمثل جزءًا من العمود الفقري، وأراها جزء من الشجرة حيث نما فيها الجسد الأوزيري كامل اليدين والقدمين والرأس، أو هي مومياء نباتية، لذلك كانت الطقوس تلزم بصناعة عمود الجد من الخشب، لأنه شجرة.

لدينا صور ونقوش حجرية عديدة تمثل طقس رفع عمود الجد، حين يقوم به الملك، لكن لم تحفظ الآثار أي نسخ مماثلة للنموذج الأصلي الخشبي (الشجري) المستخدم في ذلك الطقس الختامي لموسم الحج، بينما لدينا آلاف القطع المعدنية والحجرية الصغيرة الملونة المستخدمة كتمائم على هيئة عمود الجد، ولعل السبب

في فقد النماذج الأصلية الكبيرة هو تأثير عامل الزمن في مادة الخشب التي كانت تصنع منها تلك الأعمدة.

توضح النصوص فائدة تميمة عمود الجد في أنها تمنح حاملها القوة والخلود، بينما يكون رفع نموذج خشبي كبير في حضرة الرأس الأوزيري الشريف، في ختام موسم الحج، لكي يتفضل الرب الحي ويمنح شعبه عامًا كاملاُ من الإحساس بالأمان، ولعل زرع شجرة أوزيريس في بداية موسم الحج -15 كيهك- كان من أهدافه تجديد شباب الأوزير بمنحه عمود "جد" جديد، فضلاً عن أن تنتقل طاقة القيام والإستيقاظ الى جسد كل محتفل وفي مقدمتهم -بالطبع- الملك.

مازال هتاف رواد الحج الأبدي R ḏD DM "ل-جد-دايم"، نسمعها تتردد في هتاف شعبي رصدته روايات (نجيب محفوظ) وعدد من الأفلام المصرية قائلين:"الله يا دايم"، بعدما كانت تلك الهتافات تدوي بأصوات الحجاج في أرجاء أبيدو القديمة.

ما إن ينحني جلالة ملك مصر ويبدأ في لمس الجزء الأسفل من عمود الجد حتى تتصاعد أصوات الشخاشيخ أو الصلاصل الحتحورية، مع الهتافات، وتزيد أصواتها مع إرتفاع درجة ميل العمود صعودًا، إلى أن يرتفع تمامًا ويعتدل العمود قائمًا منتصبًا، حينئذ تنضم إلى الصلاصل ضربات الطبول ودقات الدفوف والمزاهر وبقية الآلات الموسيقية، كما يعلو هتاف وتصفيق الحجيج في بهجة وسرور:

أوزير أنست/ أريس أنست

أوزير حضر/ خلاص حضر

لقد حضر أوزير واستقر واستوى (أقام) على عرشه يوثق "سليم حسن" شكوى أحد كتّاب الأسرة العاشرة (2100 ق.م) من أن عدم حضور الملك لطقوس رفع عمود الجد، كان هو السبب الحقيقي فيما ظلوا يعانونه طوال باقي أيام السنة من شقاء وفساد الذمم، حيث يقول الكاتب، معاتبًا ومهددًا:

"إن أوزير لن يطل على شعبه هذا العام، فتقبلوا ما يحدث لكم"

ومن نصوص نبوءة المرتل العظيم للنترة "باستت" المسمى "نفر-روهو"، نجده يقرر أن من ضمن علامات القبول والبشارة بالقائد العظيم "أمنمحات":

"أنه يرفع عمود الـ "جد" في موعده!"

في واحدة من لقاءات المنتدى الثقافي المصري حكى ليَّ السفير محمد الغمراوي، أنه أثناء تواجده في أفغانستان، رصد إحتفالية أفغانية شعبية دينية، إسمها "رفع العمود"، وفيها يرفع أحد كبار القادة والأئمة عمودًا خشبيًا مع التهليل والتكبير!

كذلك جزء أساسي من طقوس الموالد في أنحاء مصر، حتى تاريخ كتابتي هذه، وجود "عمود الخيمة"، وهو عرق خشبي طويل يُغرز وسط ميدان الإحتفال بالمولد، علمًا للمولد، تمامًا كما كان عمود الجد علمًا دالاً على إخلاص المصريين لربهم ووفائهم لتراب وطنهم،

بينما يكون إسم ذلك العامود لدى بعض الطرق الصوفية هو "عامود الإجتماع"، أي إجتماع المريدين على حب أولياء الله الصالحين.

أما ما بقي من طقس رفع عمود الجد في تقاليد عالمنا الحديث، فإننا نشهده كل يوم مع رفع العلم، كل علم، لكل دول العالم تقاليد ثابتة لرفعه تفرض احترامها بإعتباره يرمز لهيبة الدولة، كما أنه يلخص مشاعر الولاء للوطن ممثلاً في علمه، في طابور صباح كل مدرسة وكل كتيبة وسرية جيش أو شرطة، وفي الجنازات العسكرية وكذلك في عدد من المناسبات المختلفة، كما رأينا مؤخرًا تفعيلها في مباريات الدوري المصري لكرة القدم.



إن تقليد رفع العلم المنتشر الآن في كل ثقافات العالم، ليس لأنه مجرد رمز سياسي، بل هو رمز يلخص حالة الوطن، وحالة الولاء

والإنتماء الوطني، لذلك كانت لحظة رفع علم مصر عقب إعلان الإنتصار بصعود الأبطال على أطلال خط بارليف، هي لحظة ملحمية فارقة في حياة المصريين، أعادت الكثير من الكرامة الوطنية، وليس فقط الأرض والمجد.

خامسًا: العودة من الحج



يمثل يوم العودة من رحلة الحج، بمثابة يوم انتصار، يوم اكتمال الحلم، مشاعر ايجابية متناقضة، فهم فرحين بتحقيق الهدف من الرحلة بعد الجهد ومشاق السفر، مطمئنين على حاضرهم ومستقبلهم الذي أصبح بين يد أمينة وحارس لا يغفل ولا ينام، يحنون كذلك لأوطانهم وبيوتهم وحيواناتهم وزراعاتهم وأحبائهم الذين يملؤهم الشوق للقياهم بعد غياب

طويل، مع مشاعر ترك الأماكن المقدسة ويعلمون أنهم قد لا يستطيعون معاودة تلك الرحلة مرة أخرى في حياتهم القصيرة!

فكما صور الحجاج أحداث ذهابهم وسفرتهم، ويوميات الطقوس والشعائر، نراهم أيضًا وقد صوروا أحداث عودتهم في قوارب ومراكب كما كان السفر! وحتى اليوم أو الى وقت قريب كنا نرى الحجاج يرسمون وسائل سفرهم وعودتهم من الحج!

ومن مأثورات يوم العودة من الحج، التي كان الحجاج يشدون بها، فرادى وجماعات، ملحمة وسيرة شعبية لمحاسن أوزير، تم وصفها في موسوعة سليم حسن بـ "الأنشودة الكبرى" مدحًا لأوزيريس، فكما أتى الحجاج من كافة أقاليم مصر، فإنهم يصفون فضائل أوزير ووجوده الدائم معهم في نفس أماكنهم، بل أراهم هنا يحيون أنفسهم ويودعون بعضهم البعض، بمجاملة لطيفة، كلاً بإسمه، ملخصًا ومختصرًا ومرموزًا في اسم

بلده، يهللون بها معًا، في ملحمة غنائية اخترقت جدار الزمن، لتسجل بعضًا من أحداث تلك السيرة الشريفة الأوزيرية، وبعضًا من السيرة الشريفة الشخصية لكل حاج، يرى نفسه فيها مصاحبًا لأوزير في جولاته، وحضوره الدائم في كل أرجاء الوطن الحبيب، ويجب أن تعرف أنه حين تزداد الحمية ويرتفع صوت المنشدين في ناحية من نواحي أرض الحج، فاعلم أن أولئك المنشدون المتحمسون هم من نفس البلدة التي جرى ذكر اسمها وجاء وصفها من ضمن مدائح الملحمة الأوزيرية الشجية:

"...الحمد لك يا أوزير، يا رمز الأبدية، وملك النترو، يا صاحب الأسماء الكثيرة الحسنة ..

.. أنت صاحب الـ "كا" النبيلة في مدينة "بوصير"، والمؤن الغزيرة في "سخم"، والترانيم المسموعة "**šmc**" المصاحبة للكنز في كل اقليم "بوصير"، وصاحب المائدة العامرة بأصناف الطعام من كل لون في

"أون"، والذي يذكره الناس بالخير في قاعة العدالتين، الروح الباقية في جبانة "كرارة"، رفيع المقام في "من-نفر"، روح "رع" ونفسه الحي، الذي يجد راحته في "إهناسيا"، والذي ترتفع من أجله صيحات فرحة الجماهير عند شجرة "نعرت" التي مازالت تقف عليها روحه، صاحب القصر العظيم في "الأشمونين"، عظيم الروعة في "شطب"، رمز الأبدية في "أبيدوس"، صاحب الطقس الكبير والكرسي العالي في "طا-جسر"، اسمه باقٍ وخالد أبد الدهر في العالمين، الحاكم القاضي بين الناس يوم الحساب، ماؤه من النون الأزلي، هواءه يصل الشمال والجنوب، في القبة الزرقاء ونجومها يصغون إليه بإهتمام انتباهًا وفرحًا، كل الأبواب التي كانت مغلقة يأمرها فتُفتح له، وهنا وهناك وفي كل مكان، كل الناس فرحين به مهللين له .. أوزير .. أوزير .. أوزير .. ".

ملاحق الكتاب

قبل وداع القارئ لمنظومة الحج الأبدي أفضل أن نطوف به في جولة سريعة كي يتعرف من خلالها على الملامح الفكرية لشخصية المصري القديم، وذلك في الملحق الأول!

ثم نختم بجولة سياحية جغرافية، مطلوبة بل واجبة من كل مصري يود التواصل مع جذور هويته الوطنية، من خلال زيارة تلك المواقع الأثرية المرتبطة بالطقس الحيوي "الحج"، الثقافي والإجتماعي قبل أن يكون ديني، الذي ظل القادرون من قدماء المصريين يقومون به ويواظبون عليه لعدة آلاف من السنين، وذلك في الملحق الثاني!

الملحق الأول: مقومات الشخصية

حتى نقترب من فهم طريقة تفكير المصري القديم، يجب أن نتعرف على بعض المفردات التي ساهمت في

تكوين شخصية المصري القديم، وفق اعتقاده هو، في ضوء عناصر زمنه هو، حسب وسائل وطرق حياته هو، كذلك وفق طرق استيعاب المصري القديم للضرورة الوجودية الخاصة بمبادئ الضمير في علاقته مع النفس ومع الغير، ولزومية الطقوس الدينية في مناجاته مع عناصر الطبيعة، ثم حتمية طقوس الحج الأبدي لتحقيق السلام مع النفس ومع الغير ومع الكون كله.

حيث نجد أن المصري القديم قد انتهى تفكيره الى أن مكونات الشخصية تنقسم إلى تسعة أقسام:

1. إب: القلب، وهو العضو العضلي الحركي في صدر الإنسان، وليس أنه فقط جهاز ضخ الدماء عبر الأوعية الدموية، إنما تعامل معه المصري بإعتباره أداة إحساس وقرار، وقد نحت الثقافات القديمة ذلك النحو، من إعتبار القلب هو أداة الإرادة والشعور، مثل ما ترمي إليه الآية القرآنية "أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"، ومؤخرًا قرأنا أبحاثًا مباشرة حديثة، توضح أيضًا أن القرار يصدر بالأساس من القلب وليس من العقل، وأن العقل ليس إلا بمثابة غرفة عمليات دائمة الإستعداد لتنظيم وتوصيل الأوامر إلى باقي أجهزة الجسم ليقوم، كل منها بأداء وظيفته!

2. **جت**: أي الجثة، أو الجسد المادي، المكون من لحوم وعظام وعضلات ودماء وشحوم .. لخ!

3. **رن**: الإسم، وهو عنوان الشخصية، كما أنه من أهم منجزات البشرية، وكان الوصول لذلك الإنجاز، بمثابة قفزة إعجازية، قيمة كبيرة ومحطة أساسية في مسيرة التقدم الإنساني، ويمكننا أن نتخيل الآن مدى التخبط والإرتباك الذي قد نواجهه في حياتنا لو لم يكن لكل كيان إسم خاص به يميزه، وقد انفرد المصري القديم بذلك الفضل العظيم دون سواه من مواطني الحضارات القديمة، إذ

أن ظهور الإنسان بإسمه الحصري والخاص قد تم في مصر، وبدأ ذلك بشكل رمز الراية الذي يشير إلى معنى المقدس "نتر"، ثم توالت الإشارات الكتابية لمعاني أسماء النجوم والسماء والأرض ... لخ، كما رددته ونقلته الكتابات المصرية المبكرة، من العصور المعروفة الآن بأسماء أماكن العثور عليها مثل ما انتهت إليه الإكتشافات الأثرية في مدينة نقادة، والتي قسمت حسب زمن وقوعها الى نقادة الأولى 4500 ق.م، ثم الثانية 4000 ق.م، ثم الثالثة 3500 ق.م، بنفس الترتيب الزمني!

4. **شوت**: وهو ظل الإنسان، أو الظلام الذي لا يظهر إلا في مواجهة النور، حين يغيب نور الشمس يسود الظلام، وحين يشرق رع تنزوي العتمة وتختبئ فلا يظهر منها سوى الظل، حيث يمثل ذلك الكيان الظلامي مظاهر السرية والخصوصية في مواجهة

علانية وشفافية النور، كذلك يمثل الظل المجال المغناطيسي للإنسان أو دائرة طاقته التأثيرية!

5. كا: هي نفس الإنسان أثناء حياته، التي تنتقل بعد موته، حيث تتقمص تماثيله وصوره، وكذلك تتجسد في الكلمات والحكايات أو سيرته الشخصية كلما ذُكرت!

6. با: هي الروح أو القرين المصاحب للإنسان في حياته، بحيث يكون عكس جنس الإنسان، حيث تصطحب الرجل قرينة أنثى ويصطحب المرأة قرينٌ ذكر، ويتحول ذلك الـ "با" الى شكل الطائر في اليوم الأربعين من تاريخ مغادرة الحياة الدنيا، ثم يظل ذلك الطائر حيًا خالدًا أبدًا, يباشر مهامه ويقوم بوظيفة, التي هي أداة التواصل الدائم مع الأحياء، خاصة الأبناء والأحفاد والأهل والأحباب!

7. آخ: هو إسم للروح الخالدة في عالم الحياة الآخرة، وهي الروح المصاحبة للنذر، ويمكن أن

تمارس الآخ نفس دور طائر الـ "با" في الحالات الخاصة والضرورية، حين تتواصل الآخ مع حياة الأحياء في شكل شبح، أو ما تدعوه الثقافات الدينية الحديثة بالجن والعفاريت!

8. **ساح**: وهو كيان مادي سماوي، مشابه لوظيفة الـ "جت" في كيانه الأرضي، وحالات ظهوره تكون بين الكواكب والنجوم، يمكن رؤيته بالعين المجردة، وهو الذي يؤثر -حسب المعتقد المصري القديم- في حركة المياه بين المد والجذر، كما يؤثر في حياة الأشخاص القريبين منه بين الحزن والفرح، الصحة والمرض، الطمأنينة والغضب، النجاح والفشل، إن الـ "ساح" مؤثر سماوي كان المصري القديم يعتقد في حقيقة وجوده وأهميته طوال الوقت، ويستثمر من يدعون بالفلكيين اليوم ذلك المنتج الثقافي القديم فيما يخرجون به للناس من قراءة الطالع واستطلاع خطوات المستقبل!

9. **زخم**: هي تلك الروح الخالدة، أي الروح التي حصلت على البراءة في المحاكمة، تلك التي فازت بمصاحبة النترو، واندمجت في حياتهم وامتلأت بمعارفهم، خالدة في جنان العالو وحقول اليارو، ويمكن لبعض هذه الأرواح أن تتقدس وتقوم بمهام مشابهة لأدوار باقي النترو!

نتيجة لترجمات وقراءات مجتزأة، فإن بعض الكتّاب يكتفون من تلك العناصر التسعة بذكر بعضها دون البعض الآخر، فمنهم من يحصي خمسة عناصر منها فقط، وهم: (كا/ با/ إب/ رن/ جت)، كما أن البعض الآخر يذكر منهم فقط سبعة عناصر: (كا/ با/ آخ/ شوت/ إب/ رن/ جت).

احتاج الإنسان القديم لتفسير تصرفاته وتواصله من خلال تجسيد كيانات توضح ملامح شخصيته المتباينة، بينما تقتصر المدارس الحديثة على عوامل موضوعية محددة مثل: الخبرات/ الدوافع/ العادات/ الميول/

العقل/ العواطف/ الآراء والعقائد والأفكار/ الإستعداد/ القدرات/ السمات ... لخ!

القيم ومبادئ الضمير

لتقديم نماذج ملخصة لقيم ومبادئ المصري القديم، فليس أفضل من استحضار مقولات النتر "تحوتي" المسئول عن الحكمة والكتابة والتقويم والفلك، بل كافة الأعمال الذهنية، لنرى من خلال أقواله، كيف كانت أو ما هي القيم والمبادئ التي كانت تحكم المجتمع المصري القديم، وذلك من خلال الكتابات المنسوبة إليه في أماكن وبرديات عديدة، اخترت من بينها البردية المعروفة بإسم "انسنجر"، من ترجمة الكاتبة صفاء محمد:

- لا تلجأ للعنف لكى تنتقم لنفسك و إلا ساءت عاقبتك

- ثِق فى تدابير الإله ، فهو لا ينسى ولا يترك الظالم دون عقاب مهما طال الزمن!
- تأمل ، إن المؤمن يعرف الإله ويخشى عقابه، ولذلك يكون رحيما مع الضعفاء، أما المجرم فلا يردعه شئ ، لأنه لا يعرف الإله، وينسى أن الزمن دَوّار وأن الدنيا لا تدوم على حال.
- ذو الهيبة فى بلدته اليوم قد يصبح ضعيفا فى الغد، حين يتبدل حاله ويصير بلا نفوذ، وذو الجاه الذى يرفع صوته فى المعبد اليوم قد يلوذ بالصمت فى الغد، حين يصيبه الضعف و يضحى بلا حول ولا قوة، والقوى الذى يتخلى عن الضعفاء اليوم قد يصرخ مستغيثا فى الغد، حين يتعرض للقهر ولا يجد من ينقذه
- المقتدر الذى يخطف طعام الآخرين اليوم بالقوة قد يتسول طعامه فى الغد، حين يتبدل حاله ويصير من الفقراء.
- الكاذب الذى يسارع بالحلف لكى يوهم الآخرين أنه صادق يسارع إليه الموت، اعلم أن الدنيا تدور وأن كل شئ يرتد إليك.
- مَن كشف أسرار الآخرين كشف الإله ستره !

- لا تقترض المال وترهق نفسك بتكاليف زائدة لكي تملأ مائدتك بالطعام الفاخر، فالحكيم هو الذي يقتصد فى نفقاته ولا يترك غرائزه تتحكم فيه.
- من تطاول على من هو أكبر منه سِنّاً أُهينَ فى شيخوخته.
- من امتلأ قلبه بالرغبة فى الانتقام لن يجد الراحة والسكينة أبداً
- لا تدع الغضب يأكل قلبك، فالغضب إذا تمكّن من المرء جعله كالثعبان، أو كالتمساح الذي يقتل بلا رحمة، إن الثعبان يحمل سمه فى فمه، أما سريع الغضب فيحمل سمه فى قلبه، يبقى غضبه معه ولا يفارقه، كما يبقى السم فى فم الحية، بل كما تبقى الشراسة فى قلب التمساح .
- تأمل، إن لدغة الحية لها ترياق، أما لدغة لسان الغاضب فليس لها ترياق.
- من آثرَ الانتقام على العفو والسماح فهو أحمق، ومن ترك نفسه فريسة للغضب ورَدَّ الإساءة بمثلها فهو لا يعرف الإله، فالغضب يعمى القلب ويجعل المرء مستعدا لارتكاب الجرائم، ويجعل العين نهمة لرؤية الدم، إذا رغِبتَ في الانتقام

من الآخرين فاعلم أن الانتقام سلاح ذو حدين، وتذكر أن الماء يطفئ النار، ولكنه يتبخر بعد أن يلفحه لهيبها، وملح النطرون يتلاشى فوق المجمرة بعد أن يحترق.

- من سعى فى الشر وقع فى شر أعماله، ومن سعى فى الخير صار من أهل الخير، وفاحت سيرته العطرة على ألسنة الناس، كما يفوح عطر البخور .
- قليل الصبر يقع فى المتاعب لأنه يتعجل الانتقام.
- اصبر على ما أصابك واعلم أن الظالم له يوم معلوم .

الكتب الدينية

المصري القديم وقد ابتكر وسيلة عبقرية لتسجيل الكلام، إذ جعل من رموز الطبيعة حروفًا للكتابة، سجل بها وقائع حياته وأفكاره، فإنه أيضًا سجل بها معارفه الإيمانية وتصوراته لعالم الغيب، خاصة ما اعتقد أنه كائن في العالم الآخر، أي ما يجري في عالم الحياة بعد الممات، إذ أن المصري القديم قد تفرد في زمانه بتلك المعارف، وبغض النظر عن صحة تلك

المعلومات عن العالم الآخر، إن كان ثمة عالم آخر، أو أنها مجرد أحلام، فإن لها -في كل الأحوال- أهدافًا مشروعة صحيحة، فيها دعم للخير ونبذ للشر، لذلك فإن ذكرها أمرٌ نافع في كل الأحوال، يفيد الإنسان في التوقع وتجنب الأخطاء بقدر الإمكان!

ربما تدوين تلك الأفكار الغيبية هو الذي أدى لتنظيمها الى أن أنتجت بطريقة طبيعية فكرة الآخرة والحساب، وعلى أي حال فإن الثابت والمؤكد، أنه لم تصل أي أمة أو حضارة من العالم القديم الى فكرة الآخرة والحساب والمحاكمة عن ما جرى في حياة كل إنسان من خير وشر، إلا عن طريق المصري القديم، حيث نرى في ديانا شرق آسيا -مثلاً- ممثلة في الديانة البوذية أفكار مثل "السماسارا" و"الكارما"، عن تناسخ الأرواح وتواصل الروح والعمل الصالح في أشكال أخرى، تعيد تقييم وإصلاح الأعمال في نفس

الحياة الدنيا، وإن كان في دورة أو دورات متتالية، أما المصري القديم فمن عظيم اهتمامه بتلك المعارف وتميزه فيها أنه قد خصص لها مقرًا دائمًا في التصميم الهندسي لمبنى البربا، وذلك لحفظ الكتابات الغيبية (الدينية)، اسمه "بر-مجات" وبالتصريف يمكن قراءته بالنطق: "بر-أمجاد" أي بيت المجد، وهو مكتبة حفظ الكتب (لفافات البردي)!

تلك الكتب التي نعرضها هنا ونصفها بالكتب الدينية، هي جميعها نصوص تتعلق بالغيب، العالم الآخر، عالم ما بعد الحياة الدنيا، أو عالم الحياة بعد الموت، كما كان المصريون يرونها!

رغم أن نصوص الكتب جميعها متعلقة بالآخرة، إلا أننا سنجد فيها تصويرًا حيًا لمراحل الحياة وما بها من أعمال، فمن يردد القسم في الآخرة بأنه "لم ينزع الفطائر من فم الصغير"، يفيد بأنه كانت هناك فطائر،

وهي مخبوزات تحتاج الى دقيق يأتي من قمح تتم زراعته، وله طرق في العجن والخبز، كما أنه يتم إنضاجه على النار .. وهكذا فإن دراسة وتحليل النصوص المنسوبة للعالم الآخر يفضي الى كثير من معارف وقيم عالم الحياة في الزمن القديم، وتفيد الباحث بلا شك في فهم وتصور تلك العوالم!



النصوص الدينية التي نراها الآن مسجلة على جدران بعض الأهرامات (متون الأهرامات)، ومعظمها على جدران التوابيت (متون التوابيت) أو جداريات

المقابر (متون المقابر)، تكون عبارة عن مقتطفات أو مقطوعات أو فقرات أو آيات من تلك الكتب الدينية القديمة!

وجدير بالذكر أن تلك المدونات أو المتون لم يُعثر على بعضها في نصوص كاملة، بل كان يتم تجميع نصوصها من جداريات الأهرامات والتوابيت والمقابر والبرابي وعددٍ من البرديات!

من أهم تلك الكتب الدينية التي شكلت عقيدة المصري القديم، وأثرت كثيرًا في طرق تفكيره وأساليب حياته:

1- **كتاب "برت-إم-هرو":**

الترجمة الحرفية لإسمه تعني "خروجة النهار" أو "طلعة النهار"، وهو من أكثر كتب العالم الآخر شهرة، وإن كان قد لصقت به التسمية الخاطئة التي اقترحها العالم

الألماني "لبسيوس" ليصبح الكتاب معروفًا بإسم: "كتاب الموتى"، ويعتبر هو أكمل الكتب الدينية المصرية القديمة.

يحتوي الكتاب على مشاهد كاملة للمحاكمة أمام أوزير بحضور إيزيس وتحوتي وأنوبيس، وغيرهم حسب صاحب كل كتاب، فهو كتاب شخصي خاص بكل ميت وإن تشابهت نصوصه مع حدوث تغييرات طفيفة في شخصيات الحاضرين في المحكمة، خاصة المصاحبين للميت دفاعًا عنه أو شفاعةً له!

حيث يتكرر كثيرًا حضور حورس شفيعًا مدافعًا، أمام مشهد ميزان القلب في كفة وريشة الماعت في الكفة الأخرى، وفيه عبارات الإعترافات الإنكارية، المسماة الآن بإسم قوانين الماعت، وأشهر نصوصها في بردية "آني"!



كما أن الصور التوضيحية في الكتاب تبين عدد قضاة المحاكمة وأسمائهم والأقاليم التي يمثلونها، كما يتم الإشارة لعدد من الأعياد والقصص الأسطورية المصرية القديمة، وغير ذلك من المعلومات الحياتية كأصناف المزروعات والمأكولات والأقمشة والملابس وأدوات المطبخ وأدوات النجارين والبنائين والبحارة، وغير ذلك مما تناولته نصوص الكتاب، ويهدف الكتاب الى مساعدة الميت كي يخرج من ظلمات القبر الى حيث النهار الممتلئ بضياء نور الشمس "رع" في جنان أشجار العالو وحقول اليارو، وحيث الخلود والسعادة مع النترو!

يوجد الآن من الكتّاب صيغ وبرديات مختلفة مثل بردية "حو-نفر" وبردية "آني"، وبردية "نو"، وبردية "نب-سني"، وبردية "نفر-وبن-ف"، وبردية "نخت-آمون"، وبردية "نس-با-سفي"، وتمت ترجمة الكتّاب إلى لغات عديدة، منها ترجمات مباشرة من اللغة المصرية القديمة بالحروف الهيروجليفية إلى اللغة العربية، أهمها ترجمة العالم الكبير/ محسن لطفي السيد!

2- كتّاب "يمي-دوات":

أو بالنطق التصريفي يُقرأ "يم ضوا"، بإعتبار ما يشهده الميت من ضوء بعد مروره من البرزخ، ترجمته الحرفية هي: كتّاب "ما هو كائن في العالم الآخر"، وهو الكتّاب الذي تنقش صوره ونصوصه على جدران حجرة الدفن في المقبرة، يتناول ما يحدث للمتوفى خلال 12 ساعة من ساعات الليل، يجوس فيها المتوفى اثنا عشر مرحلة، مدة كل مرحلة ساعة

واحدة، راكبًا أو ممتطيًا مركبة الشمس، متوحدًا مع "رع"، ويجب أن لايغيب عنا أن تلك الرحلات والإختبارات يخضع لها المتوفي بعدما كان قد نجح وحصل على البراءة في محكمة أوزيريس، أي أن المحاكمة ليست نهاية الرحلة، ولا تعفيه من سلوك الطريق وعبور المصاعب ودخول عديد من الإختبارات التالية، ولكن الميزة التي يحصل عليها بعد عبور المحاكمة، أنه يحظى برعاية "رع" ويتوحد معه، وذلك كافٍ لإجتياز كافة المصاعب التالية، حيث تبدأ الرحلة بأول ساعة وهي ساعة الغروب "باغو"، ثم تنتهي بآخر ساعة وهي ساعة الفجر "مانو"، السابقة لشروق الشمس، وفيها يبدو التجوال بمركبة الشمس وسط الظلام الدامس كمن يتجول في شقة مظلمة عقب انقطاع التيار الكهربائي



ممسكًا في يده بمصباحٍ منير "كشاف نور" يتلمس به الطريق، إلا أن ذلك الطريق به أيضًا أدلة ومرشدين، وهم أنفسهم من النترو الحراس لكل مرحلة، إذ أن جميعهم من أنصار "رع" وبالتالي يقومون بالإرشاد والتوجيه الآمن رغم صعوبة الرحلة، وسيتعرف القارئ المسلم في مرحلة من مراحل الرحلة على صورة مكان يحرسه النتر "سقر" وأن الموجودين معه في الصورة من الحراس عددهم بالتمام 19، أي ستتمثل للقارئ هنا ما ورد في نص الآيات القرآنية من سورة المدثر التي تقول:

"﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)!

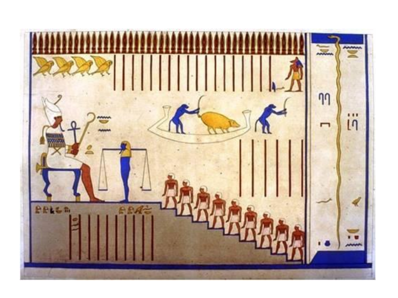
3- كتاب الغرفة المبهمة (الخفية):

القبر هو الغرفة الخفية المبهمة (المخفية)، وهذا الكتاب يختص بما يحدث بعد إغلاق المقبرة على الميت، شبيه بما يقال في الأدبيات الإسلامية عن عذاب أو نعيم القبر، الكثير من نصوص هذا الكتاب نجدها مكتوبة على المقاصير المتداخلة الخاصة بالملك "توت-عنخ-آمون"، وهذه النصوص تختص بما سيحدث في غرفة الدفن، بعد غلق المقبرة، وكأنهم كانوا يهيئون المتوفى للأحداث القادمة حتى يستعد لها ولا يتفاجأ بها.

4- كتاب البوابات:

هو كتاب يتناول المراحل التي تقطعها الروح حتى تصل الى بر الأمان، على أبواب كل مرحلة، أو بوابتها، يجري سؤال الميت عن اسمه واسم أمه وإسم

بلده وعن أشياء يفترض أنه لا يعرفها أحد سوى الميت نفسه أيام حياته، ومن أحد نصوص كتاب البوابات نجد أن



محكمة أوزيريس ما زالت منعقدة، لكن من غير وجود الميت، بما يعني أن المحاكمة وإن انقضت قبل تلك الرحلة، فإن استمرار انعقادها في الساعة الخامسة يأتي بمثابة متابعة للتنفيذ (قاضي التنفيذ)، خاصة في حضور تاسوع من النترو كما توضح الصور الدالة على ذلك، تلك الأسئلة تبدو كالإختبارات أو الإمتحانات، بعد إجراء عدة اختبارات، عند كل بوابة، فإن من ينجح فيها يعبر، ومن يفشل يسقط في بحيرة النار، وهنا ولأول مرة نقرأ ذلك التعبير الذي يتم الربط فيه بين الفشل والسقوط، لولا أن السقوط هنا حقيقي في بحيرة من

النار، أو الجحيم كما تسميه الأدبيات الدينية اللاحقة، كذلك من نصوص كتاب البوابات نجد أن الأصناف البشرية التي يحق لها دخول مملكة أوزير، حيث يُحاسبون ويُختبرون ثم يُكافئون بالخلود مع النترو في جنات أشجار الـ "عالو" وامتداد حقول الـ "يارو"، أو يعاقبون، حيث نجد فيها أول تقسيم عرقي لأصناف البشر (أطلس بشري)، إذ يتم تقسيمهم هنا إلى أربعة أنواع عرقية رئيسية، لا غير، وهم:

(1) مصريين (2) آسيويين (3) ليبيين (4) كوشيين!

تصنيف عجيب، والمقصود هنا بالمصريين كل سكان الإمبراطورية المصرية زمن كتابة هذا النص في الدولة الحديثة، حيث توسعت حدود مصر وشملت كل ما يُعرف الآن بإسم سوريا ولبنان وفلسطين ومساحات كبيرة من تركيا وكذلك اليونان الحالية بجزرها، وأيضًا

المنطقة الغربية من شبه الجزيرة التي كان اسمها لدى المصري القديم: "الخاصة" ثم أصبح اسمها كما نعرفه اليوم (شبه الجزيرة العربية) من اليمن جنوبًا الى تبوك وتيماء شمالاً، ومن مصب النيل في البحر المتوسط حتى الشلال السادس شمال مدينة الخرطوم الحالية، بمجرد اتحاد مجرى النيل في قناة واحدة، مع



تأسيس حاميات ونقاط للحراسة ترعى منابع ومجارى النيل جميعها، كل هؤلاء يتحدث عنهم النص بإعتبارهم مصريين، طالما كانوا تحت الإدارة المصرية، بينما نرى أنه يجمع كل شعوب الآسيويين: (صينيين ويابانيين وكوريين وهنود وعراقيين وفرس

وعبرانيين وروس، وغيرهم) في سلة واحدة بمسمى واحد: (آسيويين)، وكل الشمال الأفريقي غرب مصر هم ليبيون فقط، وكل أفارقة الوسط والجنوب الأفريقي (كوشيين)، أما ما عدا ذلك كالأوربيين والأمريكيين وما نعرفه اليوم من اسكيمو واستراليا وغير ذلك، فإنهم ليسوا إلا فروع من الأنواع الأساسية للبشر، حسب التصنيفات السابقة والتي حددتها الثقافة الجغرافية للمصري القديم من خلال نصوص عديدة، وأهمها هنا نصوص كتاب البوابات، الذي يأتي كنص إيماني مقدس!

5- كتاب الكهوف:

ويعرف أيضًا بكتاب المغارات، واختصارًا هو أيضًا كتاب عن ما يحدث داخل المقابر، يختص بالحديث عن ستة كهوف داخل المقبرة المغلقة، تكون الإقامة

فيها إما بالأمان والراحة للمتوفي الصالح البار، أو بالتوتر والعذاب للمتوفي المذنب!

يعتبر كتاب الكهوف من أهم الكتب توضيحاً وفهماً لفكرة عودة الحيوية للآلهة التي أرهقها وأضعفها الموت مثل (أوزير)، أو أضعفها الليل (مثل رع)، ويتحدث عن الكيانات المقدسة (النترو) ككائنات حية، تضعف وتقوى، تسعد وتحزن، تهدأ وتغضب، أي تمر بكل ما يمر به الكائن الحي!

يختلف كتاب الكهوف عن كتابي البوابات واليمي دوات، في أنه مكون من ستة أجزاء (كهوف) فقط، وأن رحلة رع برفقة الميت تكون سيرًا على الأقدام، وليس في مركبة الشمس، كما هو معتاد في بقية الكتب الدينية الأخرى!

يتميز الكتاب بحراس الكهوف من الثعابين، الموضحة هيئاتهم وأسمائهم وأدوارهم، بشكل يندر أن يتكرر في كتاب ديني آخر، بحيث يمكننا تسميته أيضًا بكتاب ثعابين الكهوف!

نصوص عديدة من كتاب الكهوف منتشرة في جداريات المقابر والبرابي، بل والبرديات المدفونة تحت رؤوس المومياوات!

من أقدم النصوص الخاصة بكتاب الكهوف، تلك المكتوبة على الجدار الأيسر لدهليز مدخل الأوزيريون في مدينة أبيدوس، المكتوب بمعرفة أو بإسم الملك مرنبتاح!



6- كتاب الأرض:

أو كتاب "أكر" أو "وكر" الذي يمثل القوى الأرضية، تلك التي نراها

تظهر مصورة في أحد المشاهد وهي حاملة لقرص الشمس، وتعبر به الطريق!

كما يبدو أنه الكتّاب الذي يتناول ضمان استمرار عمليات الإمداد و"التموين"، أثناء رحلة الروح داخل الأرض، وذلك نعرفه من الوصف الخاص ببيان كيفية تغذية وإشباع المتوفي أثناء الرحلة داخل باطن الأرض، ولذلك يمكن تصريف اسمه "أكر/ أكل" بما يقترب من معنى دوره في تدبير الـ "أكل"!

يصور الكتّاب رحلة الشمس في مساعدة الأرواح البارة لطريق الأمان، حيث يتحول "رع" ويتحد مع "با" الإنسان بعد الموت، ثم يعبر به الطريق عبر باطن "أكر" أي الأرض!

كما يصور كيفية مساعدة الشمس للمرور، في صورة اثنتين من النترات الحارسات اللاتي تدفعان مركبة

الشمس، وتتجولان بها في الممرات، وكأنهما تتسوقان في الهايبر ماركت!

هذا الكتّاب يعتبر ضمن المصادر الرئيسية لكثير من الأساطير والمعتقدات الشعبية التي تقوم بتغذية الخيال الشعبي في تناول الحديث عن مخلوقات وعوالم ما هو كائن تحت الأرض!

7- **كتّاب "نوت/ نوة"**:

"نوت" أو "نوة"، هي السماء، التي تزوجت "جب" الأرض، ليصبح اسمها "جبت"، ثم أنجبا أول مخلوقات سكنت الأرض، حسب أسطورة الخلق بواسطة تاسوع أون!



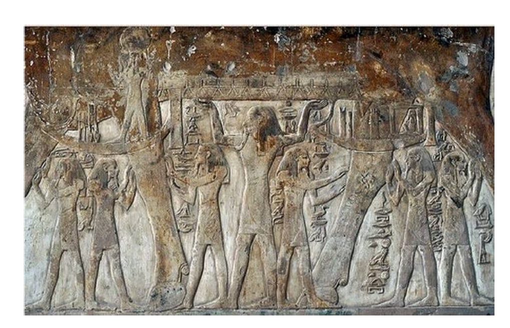
يوضح الكتاب أن السماء "نوت" هي أم النترو، لأنها ولدت كل النجوم بمفردها، ثم يصف الكتاب علاقة السماء "نوت" بالأرض "جب" أو زواجهما، بأنها علاقة خاطئة شريرة، لذلك يأتي الموت لمواليد تلك العلاقة، ثم تبذل "نوت" مجهودًا كبيرًا لتصحيح ذلك الخطأ بأن تساعد في تحويل الصالحين من البشر الى نترو أو نجوم خالدة، لا تتعرض للفناء أو الموت!

إذًا نحن بصدد كتاب فلكي أسطوري، يتحدث عن النجوم وعن الكواكب ودوراتهم بأسمائهم، ثم يتحدث عن علاقة السماء والنجوم بالبشر، وكيف

تحدد النجوم أقدارهم ومساراتهم في الحياة، ثم تتناول علاقة الميت بكل ذلك!

8- كتاب البقرة السماوية:

هنا بقرة السماء اسمها "حسات" أو "حصة"، وأحيانًا تكون هي "نوت"، تحمل "رع" في رحلة صعوده الى السماء، ومغادرته للأرض غاضباً منها، ويصحب رع في رحلته "شو" وكذلك "حح" كما يدعم قوائم البقرة الأربعة ثمانية معاونين، تمامًا كما تم تصوير المشهد في الآية القرآنية التي تقول: وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ !



يحكي كتاب البقرة السماوية عن ما يعرف بإسم "أسطورة هلاك

البشرية"، أنه بعد أن تهكم البشر من "رع" وأغضبوه، حيث يأمر "رع" ابنته "حتحور" في صورة "سخمت" وأحيانًا تكون هي "تفنوت" في صورة اللبؤة الشرسة بالطاقة النارية المدمرة، التي تنتقم من البشر وتُعمل القتل فيهم والفتك بهم، حتى خشي "رع" من انقراض وفناء الجنس البشري، فيأمر بملئ بحيرة من النبيذ الأحمر، تخالها الغاضبة دماء لتشرب منها، فتهدأ الظالمة وتنام (نوم الظالم عبادة)، ثم تتحول الى صورة "حتحور" التي تميل للحب والوداعة والجمال والسلام، ويعتبر كثيرًا من الكتّاب أسطورة هلاك البشرية بنيران سخمت موازية لأسطورة هلاك البشرية بالطوفان في الثقافة الآشورية!

توجد ثلاث نسخ كاملة من كتاب البقرة السماوية منسوخة في غرف متفرعة من غرف الدفن في مقابر



سوتي الأول ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث.

9- **كتاب ابتهالات "رع":**

عبارة عن أناشيد موجهة الى "رع" لكي يتحد (يرضى عن) مع روح المتوفى، وتتم تلك المناجاة بإستخدام عدد 75 إسم أو شكل من أشكال ووظائف الشمس "رع"، التي تم تجميعها من جدران مقابر ملكية من الأسرتين 19 و 20 في طيبة، وليس المجال هنا يسمح بعرض تلك الوظائف رغم أهميتها، فإنها وحدها يحتاج عرضها الى كتاب كامل مستقل!

10- **كتاب الليل:**



يصور رحلة الشمس "رع" في مركبة الشمس، بصحبة "ماعت" يرافقهم الملك الذي كتب الكتاب على جدران مقبرته، وهو هنا

الملك رمسيس التاسع بصحبة إيزيس ونفتيس وعدد من النترو، بينما مركبة الشمس التي تصحب ماعت والملك تجرها الكلاب، في مشهد يندر أن نراه، في أرض كأرض مصر، ليس فيها ثلوج تسمح بوجود زحافات تجرها الكلاب، فمن أين أتت تلك الصورة؟

كتاب الليل يشير الى حياة البشر بعدما غادرهم "رع" ويظهر المصاعب التي سيقابلها البشر بسبب تلك المغادرة، ويستنبط بعض الباحثين عدد من التنبؤات من نصوص ذلك الكتاب، بل أعيد تصدير تلك التنبؤات بإسم كتابات دينية تالية!

11- **كتاب النهار:**



عكس كتاب الليل، فإن كتاب النهار، يصور الحياة في وجود الشمس، قبل

المغادرة عن طريق البقرة السماوية، كانت كلها نهارًا من غير ليل، وكانت كلها خير مطلق، بلا ذنوب، بلا خطيئة، ثياب نظيفة وأعمال فاضلة، وكان البشر متحدون في هيئتهم مع هيئة النترو، كلهم متحدون مع "رع"!

يحكى كتاب النهار إذن، عن عصر ذهبي كان يحكم فيه رع الأرض، و كان البشر يعيشون على الأرض سويا مع النترو حيث يقول النص في معناه المترجم:

"كان اليوم كله نهار/نور، و لم تعرف الأرض الظلام، و لم يكن هناك عالم سفلي و لا موت ولا فناء و لا ألم" .

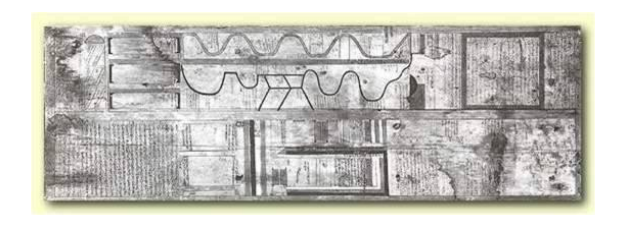
12- **كتاب الطريقين:**

يوجد أمام كل إنسان في رحلته للعالم الآخر طريقان، أحدهما (سماوي) مائي أزرق، والآخر (أرضي) بري

رمادي، يفضيان الى "برزخ" يبدأ من قبر أوزير، وينتهي بالصالحين الأبرار الى جنة النعيم "عالو" بحقولها وأرضها الممتدة "يارو"!

بسبب رسمة الطريقين المتعرجين بشكل خريطة، أخذ الكتاب عنوانه: "الطريقين"، وإن كان البعض يعتبره مجرد طريق واحد هو "الصراط" المعروف في الثقافة الإسلامية, رغم أن الصراط مستقيم!

يحتوي الكتاب على تعليمات للميت تؤدي به الى الحياة السعيدة في الآخرة، كما أن بها رسائل لمن يقرأها من الأحياء تهديهم طريق الرشاد والصواب بالأعمال الصالحات!



ينبه الكتاب الى أهمية التذكر، وعيوب النسيان، حيث إن من يتذكر هذه التعويذة يستطيع أن يتحرك كيفما يشاء ويجوب السماوات، فى حين يكون مصير من ينساها هو الهلاك:

"لأى رجل يعرف ويتذكر تعويذة النزول الى الطريقين، سيهبط فى أى سماء يود أن يهبط بها، وفيما يخص الذى ينسى هذه التعويذة للمرور فوق تلك الطرق، سيؤخذ بآلام الموتى"، وربما تستدعي الذاكرة على الفور آية قرآنية من سورة الأعلى تلخص المعنى: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ .وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}

الطقوس الدينية الأساسية

احتاج المصري القديم وسيلة لتطبيق وتنظيم وحفظ معتقداته وخلاصة مبادئه التي أصبحت هي محصلة خبرات وتجارب السنين والأحداث، لتكون سبيلاً

لتيسير حياته وحياة أبنائه وأحفاده الفكرية والإجتماعية، فأبدع وابتكر طقوسًا لكل شئ، وقد استفادت البشرية جميعها من ابتكاراته وإبداعاته الطقسية تلك، حين نراها ماثلة لا تخطئها العين الواعية في طقوس العالم الدينية والإجتماعية حتى وقتنا هذا! إذ يبدو أن معظم هذه الطقوس قد تجذرت في شخصية المصري على وجه العموم، وبذلك استمر في ممارستها بصور متعددة، رغم تغير الشكل والأسلوب الذي يمارس به تلك الطقوس بتغيير الديانة، فالمصريين الحاليين مازالوا يتطهرون بالمياه ويتوجهون للصلاة بكثرة الإستغفار والشكر والحمد، بل ويطلبون من الخالق الرازق بالدعاء، ويصومون بالصبر، ويتصدقون بأفضل ما يملكون عن طيب خاطر، ويحجون الى مراقد الأنبياء والصالحين وأهلهم السابقين المتوفين!

نعم مازال المصري يتحرى الصدق ويلتزم الأمانة ويتصف بالطيبة والكرم مثلما كان -وعلى هدي- آبائه وأجداده وأمهاته وجداته جيلاً بعد جيل، منذ آلاف السنين، قبل أن يتعرف الى اليهودية أو المسيحية أو الإسلام أو غيرهم، لكنه تواءم وتصالح مع الشكل الذي تفرضه ظروف تغيير الديانات.

الطهارة



شرط الطهارة، هو شرط عام، متصل بشخصية المصري القديم، وبخلاف التفسير المادي المتعلق بالنظافة الحسية، توجد تفاسير دينية، تفيد أن عملية التطهير تلك، أي التنظيف بواسطة المياة ما هي إلا محاولة متكررة للحرص على دوام الإتصال برمز الطهارة، المقدس الأبدي، الذي هو النتر "حابي" أي

النيل، وكذلك يتم التعبير عنها بالتنقية، أي جعل المؤمن المصري نقيًا، جميلاً!



ثم تعدت الطهارة الحسية، وتجاوزت وظيفتها المادية، وتنوعت دلالاتها، لتشمل المشاعر المعنوية والقيم الأخلاقية، ولتكون طهارة الجسد ملازمة لطهارة الروح والنفس، أو هي طهارة مرأية ملموسة، وطهارة خفية محسوسة، طهارة البدن الظاهر، وطهارة القلوب التي في الصدور، من كل أمراض السوء والشر، كالغل والحقد والحسد!

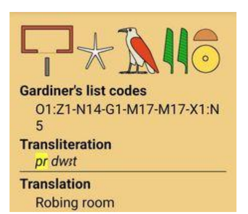
كلمة "طهارة" وتصريفاتها مثل "طهر" و"طهور" و"تطهير" و"طاهر" و"طاهرة"، وغير ذلك، جميعها من نفس الجذر المصري القديم "طوهر"، الموضح بالصورة أعلاه،



الذي يعني النظافة الظاهرية كما يعني نقاء السريرة!

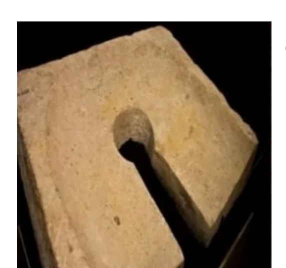
بينما استخدم المصري القديم كلمة "وعب" wʕb للتعبير عن معنا النظافة، وبالتحديد تنقية الجسد والاغتسال بالمياه!

ويُلاحظ أن نفس الجذر اللغوي "wcb" كان يُستخدم أيضًا للدلالة عن مهنة أو وظيفة الكاهن، وكأن المقصود من ذلك، أن الكاهن هو إنسان نظيف، أو يجب أن يكون نظيفًا ثم يبقى على الدوام طاهرًا نظيفًا، وذلك منطقي لأنه الوعابة أي الكهانة هي وظيفة حارس الضمير، الذي هو وسيلة الإتصال بالقوى المقدسة، والذي يحمل مسئولية التبليغ عن رسالات النُذر!



نعم لقد تخطى استخدام هذه الكلمة معانيها الحرفية، من النظافة والنقاء والاغتسال، ليصبح مدلولاً لمهنة الكهانة كلها، wʕꜣb /wʕbw /wʕb بسبب أن

الكاهن لابد وأن يبقى طيلة الوقت، طاهراً على الدوام، وذلك لإقامته في البربا، والتي تحتم الإقامة بها -ولو لزيارتها- أن يكون المقيم والزائر على الدوام وأبدًا في حالة الطهارة، ولهذا السبب تحديدًا لا توجد دورات مياة داخل البرابي، بل إننا نرى اليوم من خلال زيارتنا لما تبقى من آثار البرابي المصرية، من وجود مباني خارجية "بر-دوات" خاصة لتصريف الفضلات أو الـ "يعو" icw، قريبة الشبه، وبعضها مطابق تمامًا لما لايزال يُستخدم في القرى والأحياء الشعبية، وكذلك الجوامع والكنائس وأقسام الشرطة، وكثير من دورات المياة في المباني الحكومية، المعروف بالحمام البلدي، حيث كانت تلك الحمامات في القديم يتم تجهيزها كملحقات للبرابي في منشئآت خاصة لهذا الغرض، كانت تُسمى هذه الأماكن "بر-دوات" أو "بر_دوايت"





حسب ما وصلنا من ألفاظ وجذور اللغة المصرية القديمة، ومعناها في غاية اللطافة، إذ أنه يعني حرفيًا غرفة خلع الملابس، بإعتبار أن الإغتسال يكون في موضع نهري قريب من البربا، يسمح للمغتسل المتطهر بمجرد خروجه من الماء التوجه الى تلك الغرفة ليبدل ملابسه، ولكن تجهيزات هذه الغرف تشير بوضوح لوجود مواضع قدم للجلوس لإخراج الفضلات، مماثلة لمقاعد الحمامات البلدية الحالية، كما سبق القول والإشارة!

كما أن التطهر بمعنا التنقية، وجعل الإنسان نقيًا، كان معناه لدى المصري القديم، أن يتحلى الإنسان بالجمال، حيث المعنى الحرفي للجدر الهيروجليفي "نقت"، يعني التحسين والتجميل، أي أن يكون الشئ حسنًا جميلاً!



من الفصل 141 من كتاب برت-ام-هرو، طلعة النهار، نرى بوابات قصر النتر أوزير عليها حراسة مشددة، وشرط أن لا يدخلها إلا الأبرار (المبرئين بعد المحاكمة) المطهرون (المتطهرين بالمياه، المتطيبين بعطور اللوتس)، لذلك يردد الأوزير، أو المرحوم، مذكرًا الحراس، أنه مبرأ ومتطهر، نقيًا جميلاً في أتم شكل وأبهى صورة، لا يعلق بروحه ولا جسده ولا ذاكرته أي إثم، كما أنه يعرفهم ويعرف كل واحد منهم بإسمه، بل بأسمائهم جميعًا!

وفي الفصل 84 من نفس الكتاب (برت-ام-هرو)، نرى الأوزير يرتل مستعدًا لرحلة التحول إلى طائر البلشون، بأنه:

قد طهرت نفسي!

وفي الفصول 110 و148 تتأكد مكانة طقس التطهير، قبل أي عمل، وخاصة الأعمال المقدسة، بصورة أربع موائد للقرابين كل منها على هيئة دورق

مياه للتطهير تعلوه زهرة اللوتس، حيث تتقدم المشهد تلك الدوارق المعطرة، المصحوبة بعدد أربعة مجاديف، كي يجوبون بها العالم من جهاته الأساسية الأربعة، في موكب نهري احتفالي مصطحبين الأوزير المبرور!

وذلك يعني أن الترجمة الحرفية لمعنى الكهانة أو مدلول وظيفة الكاهن، أنه الشخص الطاهر، والذي يجب أن يكون طاهرًا, والذي يحرص أن يبقى طاهرًا، بل ومن مهامه أن يحافظ على الطهارة!

أما عن المصطلح الديني الإسلامي الذي يعني الإستعداد للصلاة، أي "الوضوء"، فقد تكون جذوره اللغوية بالتصريف بلخفنة ذلك المصطلح "دوات"، كما قد تكون من الجذر "واد/ واض"، والذي يعني الجهوزية والإستعداد والإنتعاش، ولأن لي رأي سابق، أميل إليه دائمًا، تناولته وأشرت اليه كثيرًا في الأجزاء الثلاثة من كتاب



"بنتكلم مصرى" وهو أن أصل كل الأفعال وما يتصرف عنها من أسماء الفاعل والمفعول في اللغة المصرية تبدأ على الدوام من اسم، وهنا وجدت إسمًا لسمكة نيلية، يشير مظهرها للإشراق والطهارة اسمها "ودو/ وضو"، فما فعل الوضوء الذي قررته البرابي في السابقين قد آل اليه الأمر ليصبح كناية من إسم تلك السمكة، والله أعلم!



لقد كان على المصري القديم أن يتطهر يوميًا، بغسل كامل الجسد، أي الإستحمام، مع التطيب بالزيوت العطرية وأهمها عطور اللوتس، وقد يكون هذا السلوك على الدوام خاصًا ومتعلقًا بالكهنة دون غيرهم، بينما يكون لزامًا على الشخص العادي قبل الثلاث صلوات الأساسية، أن يكتفي بغسل الوجه واليدين والقدمين بالماء، وقد نرى ذلك الترتيب بوضوح أثر

ذلك -حرفيًا- في طقوس الطهارة لدى المسيحيين المصريين، إذ لديهم أنواع من الطهارة، منها الطهارة بالغسل الكامل، ومنها الطهارة بغسل الوجه واليدين والقدمين قبل صلوات الساعات!

الصلاة

من الكلمات التي عبر بها المصري القديم عن طقس الصلاة، جاءت كلمة "تل" من الجذر: "تر"، بإقلاب أو شقلبة طبيعية بين الراء واللام، وجاءت منها التلاوة، حيث الصلاة -في الأصل- ليست إلا تلاوة أدعية وابتهالات!

كما تم التعبير عن الصلاة أيضًا بكلمة: "بركا/ بركة" وبها يدخل المصري لصلاته بقوله "بارك يارب"!

كذلك عبرت عن الصلاة كلمة: "معي/ معية"، أي الدخول لمعية وصحبة الرب، للطلب والمناشدة!

وفي نفس الوقت عبرت عن الصلاة كذلك كلمات الجذر الهيروجليفي: "سماع" بما لا يغيب عن مدلول ذلك اللفظ المباشر، وتصريفاته، من التوجه بالدعاء إلى الرب العاطي حتى يسمع من المتوجهين إليه بالطلبات والمناشدات!

نفس الأمر نستطيع تكراره في الحديث عن الجذر المصري القديم بالنطق "سبح" حسب الحرف الهيروجليفي، و"سبوح" بالحرف القبطي، بمعنى الصلاة والتوسل والدعاء والتسبيح!

sbeḥ , Rev. 21, 208 = ⲥⲃⲟϩ,
in ϯⲥⲉⲥⲃⲟϩ = .
sbeḥ , , cry,
prayer, entreaty, wail, petition, imprecation;

وهكذا نرى كل الكلمات والجذور اللغوية المصرية المعبرة عن فعل الصلاة، تدور حول وظيفة الصلاة نفسها، أي من كونها دعاء بالعلاج والشفاء والحل لمشاكل وأوجاع الإنسان الملتجئ لربه واتصاله القلبي

المباشر به من خلال الصلاة، وذلك ما يعبر عنه صراحة جذر الدعاء "دوا"، بنفس ما يعنيه المصري الحديث من لفظة "دوا" أي "دواء" لما في النفوس!

أما كلمة "صلاة" التي نستعملها في كلامنا وحديثنا الحالي، فهي مشتقة أو تم تصريفها من الجذر المصري القديم المكتوب بالحروف الهيروجليفية "سرت"، والتصريف هنا بإقلاب الراء إلى لام، حيث يظهر أن مدلول الكلمة ما هو إلا "صلت/ صلة"، وهكذا يتضح الأصل المصري للكلمة الحالية في لغة المصريين الحديثة وكذلك في اللغة العربية وغيرها، والذي رأينا معناها الأصلي يدور بين معاني الإبلاغ والبيان والتوضيح والمناشدة!

فالصلاة بقصد الإبلاغ عن شئ، أو بيان وتوضيح الحاجة، ثم هي المناشدة والطلب لما يريده المصلي ممن يتقدم إليه بصلاته هذه، وفي كل الأحوال، ومهما تبدلت الأسماء، فإن الصلاة جميعها يكون من

وظائفها التوجه بالبيان والتوضيح والإبلاغ والمناشدة الى الإله الواحد القوي، كلي القدرة، السميع العليم!

ولما كانت هذه هي المعاني التي تلخص وظيفة الصلاة ودورها في حياة الإنسان المصري القديم، فإنه بالتالي يستطيع أن يقوم بها من أجل نفسه، كما يستطيع أن يقوم بها من أجل أحبائه وأقاربه، من أجل مجتمعه ووطنه، ومن هنا فإن ما بقي من صلوات قدماء المصريين في دعوات الأمهات، ربما يكون هو أصدق تصوير لما كانت عليه، ومعنى ما كان يقال خلال تلك الصلوات، التي استمرت آلاف السنين خلال أيام عز المعتقدات المصرية، تلك التي كانت مع ازدهار وقوة حضارتها، ثم ما لبثت تلك الطقوس -إضطرارًا- أن تشكلت وتلونت في هيئات جديدة مع الأديان الوافدة ببشارات ودعوات الغزاة المحتلين، بينما ظلت تلك الطقوس صامدة في بيوت المصريين بين ثنيات قلوب الجدات والأمهات

المصريات، يرددنها بيانًا وتوضيحًا وإبلاغًا ومناشدة لربهم، بصلاح بيوتهم وهدوء بالهم، وصحة محبيهم، وعدل بناتهم!

وعلى سبيل تقريب الصورة، أورد هنا بعضًا من تلك الدعوات، والأدق لو نسميها صلوات:

- ربنا يرضى عليك ويراضيك
- ربنا يسترها معاك دنيا وآخرة
- ربنا يحنن عليك قلوب خلقه
- ربنا يفتحها ف وشك ويوسع رزقك
- ربنا يسهلها لك
- ربنا يعدل لك الحال
- أشوفك ف بيت العدل يا قلبي
- يجعلها من بختك
- يجعله من بختك
- يجعلك مُبخت
- يكفيك شر المستخبي، ويكفيك شر العوزة

- ربنا ما يحوجك لحد، ويجعلك تعطي ما تستعطي
- يكتب اسمك على حجر، لا يعت ولا يدوب
- يطعمك ما يحرمك
- يهديك ويطرح البركة فيك

وهكذا بمثل تلك الدعوات وغيرها الكثير، استمرت الأمهات حاملات الجينات الثقافية المصرية، متواصلات مع هويتهن, ممارسات لطقس من أهم طقوس عقيدة المصريين، وهو طقس الصلاة بالدعوات والتحيات والشكر والتمنيات!

- أما عن مدة الصلاة:

فالصلاة ليست لها مدة معينة، فهي تبدأ وتنتهي بإرادة المصلي، أي بمجرد أن ينتهي من دعواته!

أوقات الصلاة

- وأما أوقات الصلاة، فهي أساسية واختيارية:

هناك ثلاثة أوقات أساسية، استمر الفلاح المصري في الإلتزام بمواعيد تلك المواقيت الأساسية حتى يومنا الحالي، لأنها تنظم حياته العملية، وهي شديدة الوضوح بحيث لا يمكن نكرانها أو الإلتباس والغموض بشأن حدوثها:

الوقت الأول: (**البدرية**)، أي الوقت البدري (المبكر)، في الصباح مع بزوغ شروق الشمس، وقد عبر عنه المصري القديم بكلمة "نبهو"، ومنها التنبيه والإنتباه، وكأن أول شعاع تصدره الشمس بمثابة جرس ونداء للإنتباه ببداية اليوم، وجدير بالذكر أن اليوم في التقويم المصري يبدأ من نفس ذلك الوقت، أي من وقت الشروق، وليس منتصف الليل كما هو النظام في التقاويم الأجنبية الحالية!

الوقت الثاني: (**الضُهرية**)، مع انتصاف النهار، بتعامد الشمس، أي ما نعرفه الآن بوقت الظهر، أي الظهور والوضوح الكامل للشمس، تمامًا كما كان في مفهوم

المصري القديم وكذلك استمر في مفهوم المصري الحالي، بينما عبر المصري القديم عن ذلك الوقت أيضًا بكلمة "شمش"، التي تتصرف طبيعيًا مع كلمة "شمس" وكلمة "سمس" المعروفتين حاليًا.

<u>الوقت الثالث</u>: (**المغربية**)، مع غروب الشمس، ونهاية وقت النهار، وكذلك إنتهاء يوم العمل، لذلك يمتد وقت هذه الصلاة لما قبل النوم، فما كان المصري ليرقد نائمًا قبل أن يتلو صلاته الختامية بالدعوات برجاء تقبل ما فات من عمل وتمنيات بالتوفيق والبركة فيما هو آت، وقد عبر عنه المصري القديم بكلمة "وجا"، بمعنا الوج أي المرواح، انطفاء نور الشمس، ومعها مغادرة الفلاحين لغيطانهم والذهاب (يوجو) الى بيوتهم، وكذلك إيداع الحيوانات في حظائرها، أي أن صلاة الـ "وجا" هذه بمثابة ختام وتصفية اليوم، لذلك نراها مرتبطة بكلمة "دوا" و"دوا-نتر"، يعني الحمد والشكر للرب، ويمكننا

القول بأن هذه الصلاة الختامية هي صلاة مخصصة للحمد والشكر، والتعبير عن الشكر بكلمة "دوا"، وكأن الشكر دواء وعلاج، وهو ما تدلنا عليه الأبحاث الحديثة، كما نبهتني لذلك إحدى الصديقات المهتمات بطقوس صلوات المصريين القدماء، حيث التفاؤل والمزاج الإيجابي عمومًا يفيد كثيرًا لدوام صحة البدن وصحة العقل وصحة النفس، فالشكر والحمد الكثير لكل النعم والأفضال هو فعل إيجابي يستحضر الخير ويشحذ القوة والطاقة بل يجسد الخير في حياة الشاكر الحامد ويجعل من وجوده مؤكدًا، ولو بالإيحاء، حيث يزيد الشاكر وثوقًا بنفسه وإيمانًا بقدرة ربه، ويبدو أن ما ينتج عن حالة الحمد والشكر، هو الرضا الذي يملأ النفس بالتفاؤل ويزيد الشعور بالسعادة!

لقد صور المصري القديم رحلة النهار، برحلة بحرية، يقضيها الإنسان في العبور من شط الى شط، إن مجرد الوصول وحط الرحال وبلوغ شط السلامة والأمان

يعتبر هدف في حد ذاته، أو نتيجة يسعى الإنسان الى تحقيقها، وغاية يضعها نصب عينيه، كما هي رحلة كل يوم التي يقضيها الشمس "رع" في مركبته بصحبة ملاحيه، يناضل ويكافح حتى يبلغ مراده ويحقق هدفه، وإذا تصفحنا نصوص صلوات (أدعية) رع، فسنجد أن الغالب عليها كلمات الشكر والحمد، فقد كابد الملاحون المشاق وتغلبوا على الصعوبات برعاية وعون الرب!

يكفي في الصلاة الختامية، أن يشكر الإنسان ربه على عطاياه الكثيرة، أن منحه القوة والصبر، ووهبه البصيرة وحسن التوقع، وأن وفقه في أداء عمله وقيادة إدارة بيته ونجح في تربية أبنائه، وتدبير أمور حياته من مأكل ومشرب وملبس، ووقر في النفوس جيلاً بعد جيل، أن الشكر يزيد البركة، أو ما يعبر عنه أهلنا الطيبين بالدعوة البليغة: "يطرح البركة فيه"!

ومن نصوص كتاب "طلعة النهار" نرى المتوفى يصلي صلاة شكر للنترة المنذرة حتحور في شكل شجرة الجميز:

(إن الحمد والشكر لك أن منحتني رغيف عيش البلسم "بر-سن"، وكوب البوظة "حنكت")!

قد يظن البعض أنها أمور بسيطة (عيش وبوظة!)، ولكن صدق من قال: "بالشكر تدوم النعم"، و"وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ"، و"لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"!

أما أوقات الصلاة الإختيارية، فهي كما يقتضي معنى الكلمة، من الإختيار، أي حسب الوقت والمكان الذي يختاره الشخص للإتصال (فالصلاة اتصال) بربه القادر المهيمن العظيم، يرجوه ويتأمل منه البركة والخير والصحة والستر وصلاح الأحوال، في أي وقت، وأي مكان، وفي أي هيئة أو صورة تناسب من يصلي، كلما اقتضى الأمر، وكلما جدت واستجدت الأحوال!

هيئة الصلاة

الجملة الأخيرة في الفقرة السابقة تأخذنا إلى الحديث عن هيئة وحركات الصلاة، أو ماهية أحوال الصورة التي يمارس فيها المصلي طقوس دعائه وتقربه إلى ربه!

تجسد هيئة الصلاة وحركاتها حاجة الإنسان الضعيف الى الرب القوي القادر، ويترجم الإنسان ضعفه بأدبه في التحية والإحترام، كما تترجم إيمانه وثقته في استحقاقه للرحمة!

حيث نجد أن حركات الصلاة وهيئتها، منها ما هو حركات أساسية، والباقي منها تحية يقدمها المتقرب عن طيب خاطر، وحسن اختيار للهيئة المناسبة!

1. الدخول في الصلاة وقوفاً بتحية اسمها "نيني" وهي التحية الأساسية عند المصري على وجه العموم، سواء في دخوله للصلاة أو تحية بين الناس، وذلك برفع اليدين مفرودتين الى مستوى

الرأس والكتفين، مع فرد الكفين في مواجهة من يتقدم إليه بالتحية!

2. الدخول في الصلاة جلوسًا، بتحية اسمها "واش"، برفع اليدين الى مستوى الكتفين، مع هيئة الجلوس (المشهورة في الريف المصري) بثني احدى القدمين ورفع الأخرى!

3. انتهاء الصلاة بتقديم تحية اسمها "غمز" ،وفيها يغمز المصلي جسمه وينحني انحناءة خفيفة، تحية واحترام، ولو بمجرد ثني الرقبة قليلاً كما نفعل أحيانًا في حياتنا الحالية مقترنة بربت الكف على الصدر للتعبير عن الشكر والامتنان!

4. قد يكون أثناء الصلاة أن يحدث الاندماج والاتصال الروحي المصاحب عادة لحالة الوجد مع الإخلاص في الدعاء والمناشدة والابتهال، فيخر المصلي راكعًا أو ساجدًا أو منبطحًا تمامًا، فيما كان يعرفه المصري القديم بتحية الحرور من الجذر

الهيروجليفي "خر" ، أي أن يخر المصلي نزولاً، وهي تحية عارضة لا تحدث عادة كل صلاة، بل هي استثناء نادر الحدوث، حسب المصاب أو الضرر الذي يلتمس المصلي زواله وانتهائه!

أما ما يقال أثناء الصلاة:

1. الدخول في الصلاة بكلمة "بارك يارب"، بارك يارب زرعي، بارك يارب صحتي، بارك يارب عملي، بارك يارب حبيبتي، بارك يارب أطفالي، بارك يارب صحة أمي، بارك يارب في أهلي، بارك يارب في بيتي وبيوت أهلي، بارك يارب في وطني .. لخ، وإن أراد المصري الحديث أن يقوم بمزاولة هذه الصلوات والدعوات الطيبات، فإنه لن يحدث تغييرًا كبيرًا، سوى أن يقول المصري المسلم "بارك يا الله، وباسمك العظيم يا الله"، بينما يمكن لمواطنه المصري المسيحي أن يبدأها بـ "بارك يا يسوع، بارك يا رب المجد" .. لخ!

2.	الأدعية والابتهالات والمناشدات أثناء الصلاة هي دعوات حرة، يبدعها كل مصلٍ من واقع خبرته وتجاربه، إلا أنه ولابد من وجود مأثورات مكررة ومحفوظة يرددها المصلون، كما يحفظها ويعلمها الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم، ليتمكنوا من ترديد بعضًا من تلك المأثورات، إلى أن يكبر الشاب وتنضج الفتاة، فيكون لهم لمساتهم الخاصة وإبداعاتهم في صياغة ما يرتلون من دعوات في صلواتهم تلك!

3.	عند الخروج من الصلاة لانتهائها، يقول المصلي "أمن"، وهي من الجذر اللغوي المصري القديم "همن" بمعنى تمني الموافقة والتصديق على ما طلبه المصلي أثناء صلاته، وقد تكون كلمة "أمن" تلك واردة تصريفًا من إسم النتر "أمن" أو "آمون" كما هو شائع في تفاسير كُتاب المصريات، إذ أنه كان رمزًا مقدسًا مهمًا لآلاف السنين، وكان من أهم صفاته

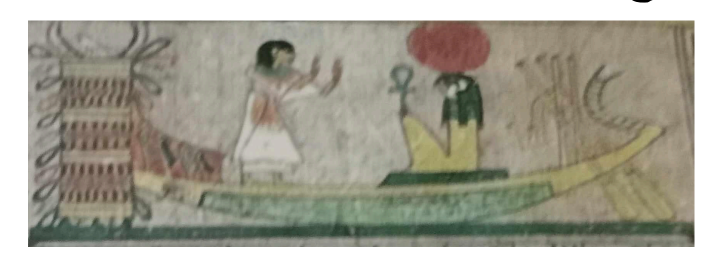
القريبة لمحبيه، والتي ساهمت في إنتشار تراتيله في جهات كثيرة تجاوزت حدود مصر، أنه "المجيب، حامي الضعفاء"، وما زال ذلك الختام "أمن" في صلاة مليارات البشر من المؤمنين في كل الديانات "أمن" "أمين" "آمين"!

الصلوات كلها -في الأصل- فردية، ولم تمارس من الصلوات الجماعية خارج البرابي، أي من صلوات الشعب إلا صلاة جماعية في الأفراح، بمناسبة عقد القران أو الـ "عقبال" كما عبرت عنه اللغة المصرية القديمة، وكذلك صلاة جماعية للجنازة، "واجت/ واجد"، قبل الدفن.

في تلك الصلوات الجماعية التي هي بمثابة مواكب زفاف (زفاف العرس وزفاف الميت) التي تكون مصحوبة بالموسيقى والغناء من المنشدين المحترفين، حيث يكون القائد هو المطرب أو المنشد، وهو من يقول الدعوات وهو من يردد التراتيل والإبتهالات،

ويكون وقوفه وفرقته -ان وجدت- في مواجهة المصلين الذين يلتفون حوله، ويرددون خلفه كلمة الإقرار لما يقول والتصديق بالدعاء "أمين"!

وأختم هذا المبحث عن صلوات المصريين، بتقديم صورة من بردية "آني" التي يتوجه فيها مباشرة إلى ربه في شكل تجلي صورة الشمس "رع"، رافعًا يديه بتحية الـ "نيني"، مرددًا تراتيل وابتهالات تمثل تكملة للفصل "15" من كتاب "برت-ام-هرو" أي طلعة النهار، أو خروج النهار، حيث يناشد الرب:



"عسى أن تحمي روحي في الأرض المقدسة، وعسى أن تصاحبني بركاتك في رحلتي الى حقول اليارو". أمن!

الصيام

وجود الصيام أي الإمتناع عن أشياء معينة، مباحة في غير وقت الصوم، وذلك كطقس أو شعيرة يتقرب بها الإنسان الى ربه، يكاد يكون الصيام شعيرة كونية، بدأها إنسان ما قبل التاريخ، صبرًا ووعدًا وعقابًا، فهو يتصبر به عن ندرة الطعام والشراب، وهو يقدم الوعد به الى ربه وأمام نفسه إن تحقق له أمر معين، كما أنه يعاقب نفسه إن ضعفت وانساقت وراء الشهوات!

ولأن حضارة المصري القديم هي من أقدم، إن لم تكن هي الحضارة الأقدم على الإطلاق، في تسجيل الطقوس الدينية، بالكتابة والرسم نقشًا على الأحجار والبرديات، حيث سجل ذلك رسمًا على فخار دير تاسا والبداري ونقادة قبل عصر الأسرات، برمز حجرة الصيام داخل البربا، وهو الرمز الهيروجليفي المسجل

في قائمة جاردنر برقم v19 وذلك من مرحلة التسجيل والكتابة بالحروف التصويرية، التي كان يعبر بواسطتها عن جملة كاملة أو كلمة كاملة برمز واحد أي حرف واحد في هيئة صورة واحدة، قبل أن تتطور الكتابة لتعبر الصورة الواحدة عن الحرف، فإنه بالتالي جدنا المصري القديم كان هو أول من تأكدت معرفته بطقوس الصيام، أي الإمتناع الإختياري عن الأكل والشرب وممارسة الجنس لمدة معينة في أوقات محددة!

بل ثبت أن لدى المصري القديم أنواع مختلفة من الصيام، منها الإمتناع الكامل، عن كل أنواع المأكل والمشرب، ومنها الصوم النباتي، أي الإمتناع عن اللحوم والأسماك ومشتقاتهما، ومنها الصوم عن الطعام فقط، الذي يجوز فيه تناول المشروبات!

صيام خاص بين الكهنة، بل بين فئات ودرجات ومناصب الكهانة في أنواع الصيام وطول مدته

وموعد وقته، وصيام للمواطنين العاديين، اختياري بشرط أن لا يعطل العمل في الحقل أو البيت، لذلك عادة كان صيام الإنسان العادي قاصرًا على كبار السن والمتعطلين عن العمل، أما الصيام النباتي فكان طقسًا سائدًا محببًا، وخاصة بين الشباب الذي يستعد للزواج، حين يلتزمون بما كان اسمه "حر-صا-م"، الذي يجعل الشاب في قوة الثور من الناحية الجنسية!

إن الصيام إذًا هو شعيرة وجودية، ارتبطت بوجود الإنسان، بل إن الأبحاث تنبهت الى لجوء بعض الحيوانات الى الصيام لتنظيم عاداتهم الغذائية، كما هو الحال عند الأسد الذي يصوم يومًا كاملاً كل أسبوع، ويمكن استنتاج أن مؤسسة البرابي المصرية، بإمكانياتها وخبراتها وتجاربها، هي من قامت بتنظيم صور تلك الشعيرة الوجودية، ثم انتشرت تلك الصور عبر العصور المختلفة والأماكن والأمم المتعددة!

s-àm, IV, 345, , to make oneself pleasant, to ingratiate, to show oneself gracious, to heal; caus. of .

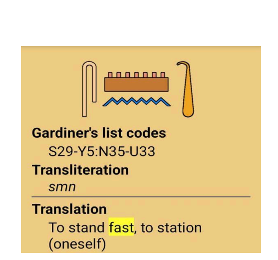
في جولة بين قواميس اللغة المصرية القديمة، وجدت هذه الجذور اللغوية التي تتصرف مع ألفاظ الصوم والصيام، كما تقترب من معانيها ومدلولاتها:

صاو-م = الإمتناع المؤجل، لوقت آخر/ لما بعد

صوم = نباتي/ خضرواتي/ عشبي

صومن = الإمساك عن/ الإمتناع عن

صيم = الملطف/ المخفف/ الشافي



كما يكون الصيام إجباريًا وإلزاميًا قبل العمليات الجراحية، وقبل التحاليل والأشعات في عصرنا ومعارفنا الطبية الحالية، كذلك كان الصيام إجباريًا وإلزاميًا في مصر القديمة قبل الإقدام على أي خطوة هامة أو إتخاذ قرار مصيري، فقد ثبت أن كل من ينضم للهيئة

الكهنوتية، كان يلتزم قبل الإنضمام، لمدة أسبوع كامل (عشرة أيام) بالطهارة عن طريق الإستحمام في مياه النيل مرتين كل يوم، في الصباح والمساء، كما يلتزم بالصيام النباتي، أي يمتنع عن أكل اللحوم والأسماك طوال تلك العشرة أيام!

كذلك من ينضم للجيش ومن يتوظف في الديوان الملكي فإنهم يلتزمون بنفس ما يلتزم به الطالب الذي ينضم الى مؤسسة البربا، كما سلف القول عن ضرورة ووجوب ذلك!

الأمر المثير للدهشة أن تلك الشروط الإلزامية كان يطلبها أهل العروس من الذي يتقدم للزواج من ابنتهم، فهو يلتزم بالطهارة اليومية والصيام النباتي لمدة عشرة أيام قبل الزفاف!

ويبالغ بعض الشباب في إلتزامهم هذا فيصحبون عرائسهم في رحلة (حج) إلى مدينة أخميم ومدينة قفط، حيث مقام رب الخصوبة "مين/ مينا"

ويمارسون هناك طقوس الصيام النباتي القاصر على أكل الخس فقط لمدة عاشورة كاملة، وأترككم مع فقرات من رواية "رادوبي"، وفيها يحكي الحكاية "سنفر" بطل الرواية لابن أخته "زنون" أثناء سفرتهم في النيل:

- "قفط دي بيتعمل فيها عيد كبير لـ النطر مينا، مرتين فـ السنة، مرة ييجي الشبان قبل ما يبلغو سن الجواز، عشان يختتنو فـ البربا زاي وزير، يقضو عشرتيام فـ العيد، هوما وأهاليهم، ومرة تانية بيحضره العرايس والعرسان اللي لسة متجوزين جديد، من كل البلاد، بييجو يجاورو البربا بتاع مينا، بارضو مدة عاشورة كاملة، بيحتفلو بـ مينا، رمز الخصوبة، عشان يخلفو صبيان وبنات ...!

زنون رجع براسه لـ ورا، ودحك:

- هههههه، ويعيشو فـ تبات ونبات، زاي تباتا ونباتا بتوع الحواديت!

- الناس اللي بيحضرو العيدين دول، مبياكلوش لا لحمة ولا سمك!

- طب بيا كلو ايه، ويغمسو عيش البتاو بإيه؟

سنفر كمل كلامه، وجاوب كأنه مسمعش السؤال:

- أكلهم كله م الغيطان، خضار وفاكهة، بيغمسو العيش المرحرح والمفقع والبتاو بالفول والخس والبصل والكرات والسريس والجرجير والقتة والشمام، طول العشرتيام"!

انتهى كلام الشاب "سنفر"، بعد ما قدم لنا صورة من صور الصيام المصري القديم، بينما توجد صور أخرى نستطيع عن طريقها أن نتخيل المصري القديم وهو يتطهر ويصوم ويصلي كلما كان له رجاء أو توقع للخير، فإنه يقدم بنفسه القربان بالطهارة والصلاة والصيام وكذلك الزكوات.

العجيب أن يرتبط الصيام بالإحتفالات والأعياد، صيام الإستعداد للوظيفة يعقبه احتفال ببدء العمل، وصيام الشباب للإستعداد للزواج، يعقبه حفل الزواج، وصيام الزوج حتى تضع زوجته حملها، يعقبه

الإحتفال بسبوع المولود، وصيام الفلاح ف انتظار نضج المحصول يعقبه أعياد الحصاد، مرتين في السنة، عيد حصاد شتوي وعيد حصاد صيفي، كما أن الصيام الشعبي الأكثر انتشارًا مدته عشرة أيام في انتظار تأكيد إكتمال الفيضان، يليها الاحتفال السنوي الكبير ببداية السنة!

زكاة الموسم

في زماننا الحاضر، حتى لحظة الكتابة، مازال الفلاح المصري يخرج ما يُسميه "الموسم"، بدوافع ذاتية، ليست دوافع حكومية ولا دوافع دينية، إنما هي زكاة يخرجها الفلاح عن طيب خاطر وبنفس راضية، من خلاصة عرقه وتعبه من كل محصول تنتجه الأرض، والى وقت قريب كنت أشاهد وأحضر بنفسي طقوس إخراج زكاة الموسم هذه، حيث يحضر الفقراء، كما يحضر الحرفيين الذين ساهموا

في إنتاج المحصول، مثل نجار السواقي، والمزين وحلاق الحمير، وجساس البهايم، وغيرهم يحصلون على أجورهم المؤجلة، إلى حيث الموسم!

كلمة "موسم" في اللغة المصرية، من الجدر "msms"، بمعنى ينتج، فالموسم هو موعد خروج الإنتاج، أي الحصاد أو الجمع أو أيًا ما يُقال ويعني إخراج الأرض لمنتجاتها في موعده!

وكان الفلاح المصري من آلاف السنين، والى الآن, له موسمين لإعطاء الزكاة، مرة في موسم الشتاء ومرة في موسم الصيف!

أما كلمة "زكاة" أي إخراج المال، بالمعنى الإسلامي, فهي أيضًا من اللغة المصري القديمة، بخصص المحراث الذي يقوم بتقليب الأرض بعد الإنتهاء من جني وحصاد المحصول السابق!

مرتين في السنة يأتي المحتاجون والمستحقون ويقفون على رؤوس الحقول لينالوا ما يخرجه الفلاح من زكاة

المواسم، وبالتحديد موسمين -كما سلف- أي موسم الشتاء وموسم الصيف!

إن حماس الفلاح المصري - القديم والحالي- لإعطاء زكاة الموسم، ينبع من يقينه بأن الزكاة تطهر المال وتحمي من الكوارث وتقي من الغل والحسد، بل أبعد من تلك المنافع المباشرة، حيث نصوص عديدة توضح أن إخراج المواسم (القرابين) في مواقيتها، حصة لمؤسسة البربا وحصة للفقير وحصة للغريب وحصة القريب المحتاج، هو من الأعمال الصالحات التي تجلب رضاء الرب وحب الناس وبها تدوم البركة في الرزق، كما أن الإحتفال بالحصاد الذي يعقب إخراج المواسم، يكون بنفوس سعيدة وراضية، فالكل نال حظه وتلقى نصيبه من الحصاد، سواء من امتلك أو من عمل، بل من جاور وساهم بكلمة تشجيع، وكذلك الفقير دون منٍ أو أذى!

لذلك .. يمكننا القول والتأكيد بأن أكثر الطقوس الإيمانية مواظبة في حياة المصري، كانت هي: التطهر والصلاة في مواقيتها الثلاث والصيام كلما أقدم على مرحلة خطيرة أو انتظر قرار هام، وزكاة الموسم مرتين في السنة، ثم الإحتفال عقب كل ذلك، فلم يعرف العالم حضارة تجيد الإحتفال مثل الحضارة المصرية التي بلغت أعيادها السنوية المسجلة ما يزيد 88 عيد سنوي، والعيد ليس ليلة واحدة، فغالبية الأعياد السنوية لأكثر من ليلة، عدا الأعياد الشهرية والنصف شهرية والعشرية والأعياد الشخصية كأعياد الميلاد والسبوع!

الملحق الثاني: المنطقة الأثرية في أبيدوس

أبيدوس، اسمها القديم "أب-بي-دو"، ومعناه = الأثر الدائم الطيب (الأبدي)، كانت عاصمة الإقليم الثامن!

اسمها الحالي "العرابة المدفونة"، محافظة سوهاج، موقعها غرب النيل بمسافة حوالي 11 كيلو متر، وأقرب محطة قطار لها في مدينة البلينا، بينما هي تتبع مركز جرجا من الناحية الإدارية!

تحتوي سفوح جبالها جبانات عدد كبير من مقابر ملوك ونبلاء الأسرتين الأولى والثانية، وكذلك مقابر لملوك عصر ما قبل الأسرات المعروفة في قوائم الملوك!

أبيدو تعتبر أقدم مدينة مقدسة، بالنسبة للمصري القديم، وكل المدن الكبيرة التالية لها، سواء عواصم للحكم أو للمعرفة، تعتبر تقليد للأصل، أو حاول مؤسسو المدن الجديدة تقليد ما كان في أبيدوس من معالم معمارية وحضارية، وقد وصفت في اللغة المصرية بعديد من الألقاب التي تلخص هيئتها ومكانتها ونظرة المصريين إليها في الزمن القديم، من هذه الأوصاف:

- **عرق**: بإعتبارها أرض عريقة أنتجت الأبطال من قدماء الأجداد وأصول الأسر الملكية، وأيضًا هي مستقرهم ومثواهم الأخير في جباناتها.
- **وَبج**: بمعنى المزار المقدس، وبتطبيق قاعدة اللخفنة (تبديل مكان الحروف) في علم الصرف حسب قواعد اللغة المصرية، يتم تبديل (لخفنة) أماكن الحروف لتصبح "بؤج"، كما مازال يوصف بها حتى الآن قطعة الرأس في أضرحة الأولياء والمقدسين المصريين (بؤجا)!
- **حوت-نبو**: بمعنى قصر الذهب!
- **باقر**: أي مقر أوزير، وأيضًا تتحول بالتصريف (لخفنة) الى "قابر"، أي قبر أوزير.
- **حجي**: أي أرض المعركة، إشارة الى الصراع الأوزيري الشهير، بين أنصار "أوزير" وأنصار "سوت" التي يجري تمثيل الأحداث على أرضها، كما سلف الشرح في طقوس أيام الحج!

- **سما-طا**: أي أرض الوحدة، ويمكن نطقها "صما-طا"، وبالتصريف تتحول التاء والطاء إلى صوت الدال "صمادا"، وربما لهذا السبب ينتشر لقب "عبد الصمد" في بلاد الوجه القبلي، كما انتقل ذلك اللقب الأبدي -والأدق أنه بقي في مكانه ولم يغادر- إلى إسم بلدة الـ "سمطا" المجاورة لأبيدوس!
- **تا-نتر**: أو طا-نذر، بمعنى أرض النذير المقدس، أو كما شاع التعبير: الأرض المقدسة.

أهم مواقع أبيدوس الأثرية

نستطيع القول أن أهم المواقع الأثرية في مدينة أبيدوس، التي يلزم للزائر أو الحاج أن يتعرف عليها، هي ستة مواقع: (1) بربا أبيدوس الكبير (سوتي الأول) - (2) بربا رمسيس الثاني - (3) الأوزيريون - (4) مقابر أم الجعاب - (5) شونة

الزبيب - (6) كوم السلطان - (7) مقبرة الملك سنوسرت الثالث.

بربا أبيدوس الكبير

يوصف بربا أبيدوس بالمعبد الكبير، وهو معبد (بربا) أسسه الملك سيتي الأول، من الأسرة التاسعة عشر، صحيح أن الإسم المشهور لهذا الملك، هو الإسم: "سيتي"، إلا أني أرى أن النطق الصحيح لإسمه هو: "سوتي الأول"، إذ أن نطق إسم النتر "سوتي" في



القواميس بكلمة "سيت" لا أساس له، وأن المسمى الأكثر رسوخًا هو "سوتي" أو "سوتخ" أو "سوتغ"، ورغم أن القواميس تكتبه حرفيًا "سيث"، حسب المعروف ف الأدبيات الأوربية، إلا أن الترجمات العربية تصمم أن تكتبه "ست"، استسهالاً أو عمدًا،

وكأنهم يقصدون خلط نطقه مع كلمة "ست" التي تعني أو تساوي: زوجة/ إمرأة/ إمرأة متزوجة!

وتلك جريمة أخرى من جرائم الترجمة، ليس هنا مجال تفصيل وقائعها كما حدث في تحقيق جريمة ترجمة البرابي الخاطئة!

ويختلف معبد (بربا) أبيدوس في تصميمه المعمارى عن باقي البرابي المصرية حيث بُنِيَّ البربا على محورين، الجزء الاول من الشرق الى الغرب ويتجه المحور الثانى من الشمال الى الجنوب.

تم بناء البربا على آثار قديمة، وبجوار مقابر من عصور بالغة القدم، من الأسرتين الأولى والثانية، بل ومن عصر نقادة السابق للأسرات، وقد أكمل البناء ابنه الملك رمسيس الثاني، ثم من بعده حفيده الملك مرنبتاح، وترجع شهرته بسبب موقعه المميز في قلب المدينة المقدسة، وكذلك لتخطيطه الفريد، ثم لأنه

يحتوى على سبع مقاصير للنتر سوتي، الذي هو الإسم الشخصي للملك الذي أسس البربا، بالإضافة إلى مقصورة ملكية خاصة بالملك صاحب المقام سوتى الأول نفسه.

بربا "أبيدوس" تم بناؤه على شكل زاوية قائمة، أو على هيئة الحرف اللاتينى L. حيث تقع مقصورة قدس الأقداس وهي المقصورة الرئيسية بشكل عمودى على سلسلة الأفنية، والقاعات المتعاقبة للأعمدة.

تميز المقصورة هنا بشيئين، أولهما وجود باب وهمي خلف المقصورة، مشابه للأبواب الوهمية التي في المقابر، وثانيهما أن تلك الأبواب والمقاصير في إتجاه الغرب، ليكون مقام أوزير هو القبلة، عكس السائد في تصاميم البرابي من اتجاه المقاصير ناحية الشرق، لتكون القبلة في إتجاه موضع شروق الشمس "رع"!

ويرتكز السقف على عدد أربعة وعشرين عموداً، وقاعدة تلك الأعمدة من الأسفل مصممة على شكل حزم من نبات البردي، أما تيجانها فعلى هيئة زهرة لم تتفتح بعد.

وتنقسم الأعمدة الأربعة والعشرين إلى صفين، كل صف به اثنا عشر عمودا، ثم ينقسم كل صف إلى ست مجموعات، وفى كل مجموعة عمودان متقاربان، ثم يوجد ممر متسع قليلاً، ثم نجد عمودين متقاربين آخرين، وهكذا

ويوجد في القاعة سبع ممرات تتصل بالممرات الأخرى التى تماثلها في قاعة الأعمدة الثانية.

قاعة الأعمدة الثانية، وهى القاعة التالية في بربا "سوتى الأول"، سقفها محمول على ستة وثلاثين عموداً، انقسمت إلى ثلاثة صفوف، في كل صف اثنا عشر

عموداً. ومثلها مثل القاعة الأخرى تتكون الصفوف من مجموعات من الأعمدة، وتتألف كل مجموعة من عمودين. وبذلك يوجد بينهما سبعة ممرات كما هو الحال في القاعة الأولى. وتتصل الممرات السبعة ببعضها في كل من القاعتين، وتنتهى بسبعة محاريب مقدسة، كانت توضع فيها تماثيل الأرباب النترو، وقد خُصِّص المحراب الأول منها من ناحية اليمين للنتر "حورس"، ثم محراب النترة "ايزيس"، ثم صاحب المقام الرئيسي النتر "أوزيريس"، ثم النتر "آمون"، ثم النتر الأقدم "حور-أختي" نتر شمس الصباح، ثم "بتاح"، نتر الخلق والعمل والإنتاج، وأخيراً محراب الملك "سوتى الأول".

تميز النصوص المكتوبة هنا بثلاث إشارات هامة، في طقسة تقديم الماعت للملك المتوفى، دلالة على أن الملك المصري لم يكن طاغية يحكم بهواه، كما تصوره

الأدبيات المعادية، بل إن الملك المصري دائمًا ما يتحلى ويلتزم بمبادئ العدالة "ماعت" وإلا حُرم من النعيم والخلود الأبدي، أي أن شرط تحول الملك -أي ملك- إلى نترو، التزامه بالعدالة في كل مراحل حياته!

إشارة ثانية توضح دور كاهنات سيشات في تأسيس وقياس وهندسة البرابي حين نرى جدارية عليها لوحة منحوتة تصور الملك رمسيس بصحبة سيشات، تدق الأوتاد (تخطيط الرسم الهندسي) وتحدد الإتجاهات!

أما الإشارة الثالثة الهامة، فهي عن النصوص التي تصف الملك سوتي (سيتي) الأول بأنه قاهر الأقواس التسعة، كما نرى الملك يضع تسع شرط تحت قدميه إشارة أخرى للأقواس التسعة، وكأنه يسجل للمرة الأولى ذلك التعبير عن أعدائه تحت قدميه، وذلك المصطلح (الأقواس التسعة) يعد تلخيصًا لأعداء

مصر في كل مكان وفي أي زمان، فمع علامات التطوير والنهضة والتنمية والعمران والفخامة التي تصاحب المشهد الملكي فإن الملك المصري يجب أن لا ينسى دوره في الدفاع عن مصر، ورد المعتدين على أرضها وحقوقها، كما لا يغفل دائمًا عن أعدائها الكثيرين، حيث الرقم التسعة دليل المبالغة فهو أقصى وأكبر الأعداد في الوحدة العددية العشرية!

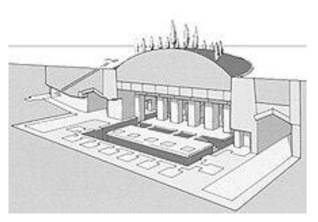
خلف محراب النتر "أوزيريس" يوجد باب يقود إلى قاعة صغيرة بها أعمدة، وبها ثلاث مقاصير صغيرة لثالوث الأرباب الأقدم المؤلف من "أوزيريس"، و"إيزيس"، و"حورس، كما يوجد كذلك مقاصير أخرى مخصصة لكل من النتر "نفرتوم"، والنتر "بتاح-سكر"، ثم مقصورة خاصة للنتر "سكر".

بربا (معبد) الملك رمسيس الثاني

رغم أن هذا البربا قد تم بناء معظم حوائطه وأسواره من الطوب النيء (اللبن)، عكس بربا والده سوتي الأول -سابق الشرح- وأنه بالتالي منهدم منه كميات كبيرة من الطوب النيء مازالت في مكانها مكومة إلى جوار البربا الكبير، إلا أنه يبدو أن أهمية هذا البربا تتضح من أنه متصل مباشرة بإجراءات وطقوس الحج الأبدي إلى أبيدوس بإعتباره قد بُني تقديسًا للثالوث المصري الأقدم (وزير/ إست/ حر) أوزيريس وإيزيس وحورس!

يواجه بربا رمسيس الثاني، المقر الأوزيري (الأوزيريون) مباشرة، لذلك كان يختص بجزء كبير من طقوس الحج، وكان بمثابة المقر الدائم لهيئة خدمة الحج، من الكهنة والكاهنات!

الأوزريون



الإسم تصريف من إسم "أوزير"، كما هو واضح، أطلقه عالم المصريات ومؤسس علم ما قبل الأسرات "فلندرز بتري"، حيث المكان في أصل تصميمه، هو محل قبر أوزيريس، والأدق أنه المكان الذي دُفن فيه رأس النتر أوزير!

مجموعة أبنية من عصور مختلفة، وربما هي بناء أساسي من عصر الدولة القديمة، ثم جرت عليه صيانة وترميمات وإصلاحات وإضافات مختلفة بتتابع العصور، يستطيع الزائر العادي أن يلمس أثر الدولة القديمة فيها، بينما يكون الأثر الأكبر والإضافات والرسوم



والكتابات الأساسية من عصر الملك سوتي الأول (سيتي)، وابنه رمسيس الثاني وحفيده مرنبتاح!

الأوزيريون الآن تملؤه المياة الجوفية ونقوشه وكتاباته الثمينة معرضة للتدمير والمحو الكامل، ويجب أن يتم الإهتمام به!

بصعوبة يستطيع الأثريون المختصون قراءة نصوص من كتاب الأرض، والذي هو كتاب أوزيري اسمه "كتاب أكر"، كما لو كان المعنى المقصود أنه كتاب أرض أبيدوس نفسها، باعتبارها المقر الذي يحتوي الجسد الأوزيري الشريف!

تمت مقارنة النصوص الناقصة المتبقية في الأوزيريون بنصوص كاملة سليمة مكتوبة في مقابر رمسيس الثالث ورمسيس الخامس ورمسيس السادس وغير ذلك، بواسطة عالمة المصريات مرجريت موراي، التي ساهمت بشكل كبير في تقديم الأوزيريون للحياة الثقافية والسياحية، كما أنها أوضحت وكشفت دوره

في حياة المصري القديم، وبخاصة رحلة الحج السنوية في منتصف شهر كيهك، لمدة أربعة عشر يومًا!

يمكننا القول باطمئنان أن الأوزيريون بالنسبة لحجاج أبيدوس، كان يحتل نفس المكانة التي يشغلها بيت لحم وكنيسة المهد بالنسبة للحجاج المسيحيين، ونفس المكانة التي تشغلها الكعبة والمدينة بالنسبة للحجاج المسلمين، وكذلك نفس مكانة جبل طيشان الصيني بالنسبة للحجاج الطاويين!

مقابر أم الجعاب

يبدو أنه اسم حديث، مفرده "جعبة" أي قارورة، إشارة لآلاف القوارير أو الجعاب التي عثر عليها في أكبر مجمع لمقابر من الدولة القديمة وما قبل الأسرات، وأعتقد أن ذلك الإسم له أصل من اللغة المصرية القديمة، رغم مظهره العربي، حيث الـ "جعب" هي قطع الفخار المتفحمة السوداء، كما هو

واقع هذه المنطقة، وكما هو النطق من مرحلة الكتابة الهيروجليفية، وأن كلمة "أم" ما هي إلا أداة نسب، حسب قواعد اللغة المصرية!

تحتوي منطقة مقابر أم الجعاب على عدد كبير من مقابر ملوك التوحيد ومؤسسي الحضارة المصرية القديمة، مثل الملك "العقرب"، والملك "إري حور"، كما تضمن مجمع المقابر هذا، مقبرة الملك "مينا" الشهير "نعرمر/ نارمر"!

قبل أن تكون سقارة مقراً لمقابر الأسر الملكية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة،

كانت أبيدوس هي المقر الأقدم لمقابر أسر تأسيس الدولة أي الأسرتين الأولى والثانية، وما قبل الأسرات، وكان مقر تجميعات تلك المقابر بالقرب من أبيدوس في تلك المنطقة المسماة اليوم "أم الجعاب"!

كان تصميم بناء المقابر الملكية، ومنها مقبرة الملك "مينا نعرمر" في شكل بدائي، حفرة مبطنة بحوائط من الطوب النيء (اللبن)، بداخلها غرفة دفن خشبية، وتحاط بغرف للقرابين.

الأمر الذي يؤكد قصة الحضارة المصرية، وأنه لا شئ فيها أتى بمعجزات خارقة، من الفضاء أو الجن أو العماليق أو أيًا مما يسوقه السفهاء المغرضون، فكل شئ في تلك الحضارة أتى بالإجتهاد والنضال وحبات العرق، مرحلة بمرحلة، واحدة بواحدة، خطوة بخطوة، ذلك حقيقة ما حدث، لقد حدث ذلك التطور المرحلي في بناء الأهرامات، كما حدث من قبل في بناء المقابر والبرابي وغير ذلك من منتجات حضارة المصريين!

من تلك المقابر أيضًا مقبرة الملكة "مريت-نيت" التي تعني محبوبة نيت، من الأسرة الأولى، وقد تكون تلك المقبرة هي الدليل الأثري لأقدم لإمرأة تقلدت

السلطة الفعلية والملك الواقعي وليس المجازي، في الوجود كله، إذ أن سلطة وملك إيزيس تم ذكره في الأساطير والنصوص التالية، وليس سابقًا لزمن تلك المقبرة الأثرية الهامة، وقد يكون مناسباً أيضًا الإشارة الى إكتشاف المئات من أواني النبيذ في تلك المقابر، وأن النبيذ بحالته وصلاحيته، رغم مرور أكثر من خمسة آلاف سنة!

زيارة مجمع المقابر هذا ربما يكرر ويؤصل ويثبت الفكرة التي قد يخرج بها الزائر من تلك الزيارة، وهي الفكرة عن الرحلة الطويلة التي عاشها شعب المصري في أعماق التاريخ، وأن تلك الرحلة وما نتج عنها من حضارة قد بُذل فيها مجهود وعرق حقيقي، وأن بناء الحضارة ليس نزهة ترفيهية ولا معجزة خيالية تسقط من المجهول، بل إنها بالفعل معجزة واقعية مشهودة غير مسبوقة حققتها أجيال طموحة!

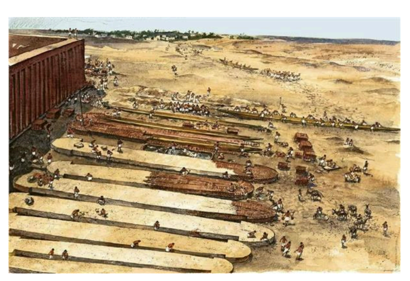
شونة الزبيب



شمال غرب البربا الكبير بحوالي كيلو متر واحد، تقع شونة الزبيب، أخذت اسمها من استخدامها معاصر للنبيذ في العهد المسيحي البيزنطي، كانت قلعة أو حظيرة كبيرة مبنية من الطوب اللبن، وهي بذلك تعتبر أقدم بناء في العالم مازال باقيًا رغم أن بناءه ليس بالأحجار، بل بمادة من طمي النيل المخلوط بالقش، أي الطوب النيء (اللبن)، تم بناؤه جبانة لملوك ما قبل الأسرة الثانية، ومنهم الملك "سخموي" 2800 ق.م، وارتفاع حجرات أسوار القلعة، يدل على أنها كانت غرف للحراسة، فهو إذًا مكان مهم وفيه محتويات ثمينة تستدعي تعيين قوات للحراسة، حيث جبانة الملوك، وحيث حظائر المراكب، لقد تم استثمار موقع القلعة

لحفظ المراكب الملكية المستخدمة للوصول الى أرض الـ "حجي" عبر ميناء المدينة المقدسة المتصل بالنيل، والتي زالت آثاره الآن -ربما بفعل فاعل لا يريد عودة طقوس الحج- وكان حدث العثور على مراكب الحج هذه كشفًا أثريًا هامًا!

المراكب المكتشفة عددها أربعة عشر مركبًا، بعدد أيام الحج بالتمام والكمال، مما يعني أن تلك المراكب لم يكن ينتهي دورها أو عملها بمجرد الوصول الى أرض الـ "حجي"، بل إن الملك كان يستخدمها للوصول، كما يشارك بها في الطقوس خلال الأربعة عشر يومًا طيلة أيام الحج كلها!



يوضح الإكتشاف أيضًا الكثير عن صناعة السفن في مصر القديمة، حيث استخدم قدماء

المصريين حبالا من نبات البردى لربط الألواح الخشبية، و قد عثر على بقايا من لون أصفر مما يرجح أن تلك السفن كانت مدهونة بطلاء عازل أصفر اللون، نعم إن صناعة السفن فى مصر وصلت الى هذا الحد من التطور بحيث تبنى سفن بهذا الحجم، ويتم استخدام ألوان فى طلائها وأن ذلك كله كان قبل الميلاد بأكثر من ثلاثة آلاف سنة.

كوم السلطان

بقايا من الطوب الني (اللبن)، لقلاع وسور عظيم، وبحيرة مقدسة، فقد ذلك أقدم معتقدات البعث بعد الموت بواسطة رب الغرب الأول "خنتي-يمنتي"، وكان مقامه ذلك وبحيرته تلك هما المقام الأول للحج، ثم ما ان ظهر أوزوريس تاليًا، حتى اتحد أو كون أقنومًا مع كيان ومعتقدات "خنتي-يمني" ثم إنتقل إلى مقام آخر، حيث الأوزيريون الحالي!

موقع خرائب كوم السلطان، أو ما بقي منها بعد التخريب القديم المتعمد في عهد "جستنيان"، والتخريب الحالي بالإهمال واعتداء بنايات وزراعات الأهالي في غيبة وتواطؤ من أجهزة الإدارة والحكم المحلي، عثر بها على تمثال صغير للملك "خوفو" باني الهرم الأكبر، وبها مقبرة لعمدة أبيدوس "وني"، ووزير الحج، ثم قائد جيوش بيبي الأول والثاني من الأسرة السادسة، كما يوجد بها آثار مقاصير لأرواح "كا" الملوك، التي تحولت في فترات تالية إلى برابي!

مقبرة الملك سنوسرت الثالث

سنوسرت الثالث، أو كما ذكر اسمه المؤرخ اليوناني هيرودوت, "سيزوستريس" خامس ملوك الأسرة الثانية عشر، اهتم بالمدينة المقدسة، حيث يوجد الآن بالمتحف البريطاني لوحة منقوش عليها تقرير من أحد موظفي الملك واسمه "سوبك-حوتب" حيث يقول

النقش: «لقد أمر جلالته بإرسال رسالته إلى أملاك التاج في «طينة» لتنظيف المعابد، وأنه نفذ هذه الأوامر حتى إنها أصبحت مطهرة لقيام العيد الشهري ونظيفة لعيد نصف الشهر.»، وكذلك عثر على تمثال لهذا الملك في البربا الكبير، كما أقام مقبرة خاصة لنفسه في هذه البقعة في جهة الصحراء على مسافة بعيدة جنوب الجبانة الملكية التي دفن فيها «أوزير خنتي أمنتيو»، كما كان الاعتقاد. ففي هذه الجهة أقام الملك لنفسه ضريحًا، ليكون مزارًا أبديًا، ضمن طقوس الحج الأبدي!

خاتمة

إن الحج الأبدي إلى أبيدوس هو من أغنى صور الإستثمار الثقافي للتاريخ والآثار المصرية، وبنظرة واحدة يمكننا أن نتخيل أعداد ومجاميع العاملين والممثلين والموسيقيين ومصممي الديكورات والملابس والمخرجين والفنيين من كافة التخصصات، والمقاهي والفنادق والمطاعم ووسائل المواصلات والإتصالات المشاركة في الحدث، وما قد يساهم به كل ذلك في تحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لشريحة كبيرة من عائلات المصريين!

أليس غريباً أن تقوم دول متقدمة مثل الصين وكوريا الجنوبية والهند بإحياء طريق قديم للتجارة، وهو "طريق الحرير"، رغم تعدد طرق التجارة حالياً، إلا أن تلك الدول وغيرها نظرت للأمر من جوانب جلب فوائد الذكريات القديمة بين الدول في التواصل

الثقافي وما يلحقها من المنافع الإقتصادية والإستثمار السياحي! إن نظرتنا لهذا الأمر، من ناحية أن الحج القديم كان من علامات الثقافة المصرية، وتذكر تفاصيل مراحله وخطواته، تمثل عمق وركيزة ثقافية للهوية المصرية الحالية، إلا أن ذلك كله يضاف إليه أيضًا الفوائد الإقتصادية والسياحية!

لقد انقطعت طقوس الحج المصري القديم منذ زمن بعيد، عمدًا وبفعل فاعل مجرم أثيم، حيث أمر المحتل البيزنطي بغلق البرابي المصرية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل حاول أولئك المحتلون المزايدة على إيمان المواطنين المسيحيين، وإظهار أنفسهم بمظهر المدافعين عن الدين الجديد، وأن ما سبق وقلناه عما حدث في سنة 550 ميلادية من أمر الإمبراطور البيزنطي "جستينيان" بإلغاء الحج ومنع السفر الى أبيدوس، ثم حرضت زوجته "ثيودورا" على قطع أرجل من يجرؤ على مخالفة الأمر الإمبراطوري! وهكذا لم يكن قطع

الأرجل إيحائيًا، بل كان فعلاً دمويًا حقيقيًا، انتهت به أيام طقوس الحج الأبدي الأوزيري، الى مدينة الأبد "أبيدو"، وانتهت معه أيام الأمن والسلام بتأثير منجزات المجد والعظمة التي حققتها الحضارة المصرية، وطويت صفحة مهمة من صفحات تاريخ المصريين بإنقطاع رمز من أهم رموزها!

إن عودة الروح, ونهضة مصر وقومتها من غفلتها التي طالت، لن تصبح حقيقة وواقعًا مشهودًا إلا بتعدد وسائل التوعية عن رموز الهوية الوطنية، وعرضها ونشرها وتعليمها والتدرب عليها بتكرار وإلحاح، حيث الوعي يحفز على التسامح، وحيث المعرفة توسع الآفاق، وحيث القدرة على المقارنة ترسخ العلم النسبي وتحاصر المقولات والظنيات المطلقة، وبذلك يضمر التعصب وينزوي في ركنه الكئيب البعيد!

المصادر

بالإضافة إلى المصادر التاريخية التي تم الإشارة إليها مباشرة ضمن نصوص الكتاب، كلما كانت الحاجة لذلك، مثلما تم الإشارة لكتب ابن عبد الحكم و ذو النون المصري والمقريزي وغيرهم من الرحالة المؤرخين المصريين وغيرهم، فإن الكتاب قد استعان بعدد آخر من مصادر كتب المصريات وقواميس اللغة المصرية القديمة نذكر منها:

1. تاريخ مصر - ماسبيرو
2. موسوعة مصر القديمة - سليم حسن
3. التربية والتعليم في مصر القديمة - عبد العزيز صالح
4. الديانة المصرية القديمة - ياروسلاف تشرني
5. فجر الضمير - جيمس هنرى برستيد
6. الآثار المصرية - جيمس بيكي
7. المرأة الفرعونية - لاروش دي نوبلكور
8. كتاب الموتى - والس بدج
9. كتاب الموتى - محسن لطفي السيد
10. قصة الحضارة - ويل ديورانت
11. الكائس - الفريد بتلر

12. الموالد - مكفرسون

13. وصف مصر - ترجمة زهير الشايب

14. الدين في مصر القديمة - أبكار السقاف

15. مصر بين القرآن والسنة - أحمد عبد الحميد يوسف

16. ليسوا آلهة، ولكن ملائكة - نديم السيار

17. فرعون من قوم موسى - عاطف عزت

18. الأعياد - سامي حرك

19. الكائنة - سامي حرك

20. رادوبي (رواية) - سامي حرك

21. بنتكلم مصري (ثلاثة أجزاء) - سامي حرك

22. تاريخ البطاركة - تحقيق عبد العزيز جمال الدين

23. قاموس الهيروجليفية المصرية - والس بدج

24. قاموس فوكنر

25. قاموس برناديت موني

26. قاموس ألن جاردنر

27. قاموس اللغة المصرية - أحمد باشا كمال.

الفهرس